

المسيح (عليه الصلاة والسلام)
في القرآن

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن

أسماءه كامل أبو شقرا

طبعة ثانية منقحة

2024 - 1446

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن

الطبعة الثانية: مونتريال كندا 2024

ردمك ISBN:

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل الطرق والتصوير
والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والكومبيوتر
وغيرها إلا بإذن خطي من المؤلف:

أسامه كامل أبو شقرا

E-mail: clc74oac@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصَارَى...﴾

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ

(المائدة 82)

أعمال سابقة للمؤلف

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

أصول تطبيق قانون الضريبة على القيمة المضافة - الطبعة الأولى - بيروت - 2002. الطبعة الثانية - بيروت 2004.

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت 2004.

وترجم إلى الفرنسية في العام 2013 بعنوان:

Jésus - Christ et la Vierge Marie dans le Coran -
1ère édition - Beyrouth – 2013

الاقتصاد في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت - 2007.

أعمال غير منشورة في كتاب لعارف أبو شقرا - تحقيق - الطبعة الأولى - بيروت - 2011.

حنينُ الحبِّ – قصص قصيرة - الطبعة الأولى - 2016 -
الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

عودة إلى أسباب أحداث القرن التاسع عشر في جبل لبنان - 2017 -
الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

الجهاد في القرآن، لا قتال بعد وفاة النبي (ﷺ) - 2018 -
الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

- أحاديث الرسول ﷺ بين الصحيح والمنحول - 2021 - دار
يافا العلمية للنشر والتوزيع - عمان الأردن، ودار
الندشني للطباعة والتوزيع - مونتريال - كندا.
- حوار شيخين في الإسلام - 2021 - دار يافا العلمية
للنشر والتوزيع - عمان الأردن، ودار الندشني للطباعة
والتوزيع - مونتريال - كندا.
- وينتصر الحب (مجموعة قصص اجتماعية) - طبعة
أولى - 2022 - بيروت - لبنان
- خواطر من أيام العمر - طبعة أولى - 2022 - بيروت -
لبنان
- طرائف وحكايات من القرية - طبعة أولى - 2024 -
مونتريال - كندا
- صفوة أحاديث الرسول ﷺ - طبعة أولى - 2024
مونتريال - كندا

المحتوى

15.....	المقدمة
27.....	نصوص الآيات
37.....	الفصل الأول مريم (عليها السلام)
37.....	مولدها
39.....	نشأتها وكفالة زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها
40.....	طهارتها
41.....	عذريتها
43.....	منزلتها (عليها السلام) بين نساء العالمين
44.....	مريم (عليها السلام) آية للعالمين
45.....	مريم (عليها السلام) صديقة
46.....	بشارة الملائكة لها
49.....	الفصل الثاني حياة المسيح عيسى (عليه الصلاة والسلام)
49.....	ميلاده
58.....	اسمه
65.....	الفصل الثالث ألقاب وصفات المسيح (عليه الصلاة والسلام)
66.....	زكي
67.....	عبد الله
67.....	مبارك
68.....	من المقربين
69.....	كلمة الله
70.....	روح من الله
71.....	وجيه في الدنيا والآخرة
71.....	علم الساعة
73.....	معصوم

76.....	مثل
76.....	صادق
79.....	أيده الله بِرُوحِ الْقُدُسِ
83.....	الفصل الرابع المسيح (عليه الصلاة والسلام) آية للناس
84.....	آية في حياته
85.....	آية في حياته وفي شخصه
86.....	آية في آخرته
89.....	الفصل الخامس معجزات المسيح (عليه الصلاة والسلام)
90.....	كلم الناس في المهد
92.....	خلق الطير من الطين
93.....	شفاء الأكمه
94.....	شفاء الأبرص
95.....	إحياء الموتى
97.....	التنبؤ بالأكل والادخار
98.....	المائدة
101.....	الفصل السادس ما خص الله تعالى به المسيح (عليه الصلاة والسلام)،
101.....	في ميلاده
102.....	وحده ولد نبيا
103.....	كلمة الله
104.....	روح من الله
104.....	عصمته
111.....	وحده آية للناس
112.....	الفصل السابع ما نفاه القرآن عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)
121.....	نفي صلب وقتل المسيح (عليه الصلاة والسلام)

125.....	الفصل الثامن تعاليم المسيح (عليه الصلاة والسلام)
129.....	المراجع

إهداء

إلى كل من أسلم لله بالإنجيل أو بالقرآن،

وإلى كل من يؤمن أن حوار الحضارات يؤدي إلى ولادة حضارة

جديدة متكاملة،

وإلى كل من يعتقد حقاً بأن الأوطان لا تفرقها الأديان إذا كان

معتنقوها مؤمنين بحق في ما أنزل الله، تعالى، في كتبه، ومتبعين تعاليمه

فيها بصدق تام ومعرفة حقيقية،

وإلى جميع أبناء وطني،

اهدي هذا الكتاب

أسامة كامل أبوشقرا

المقدمة

في 11 أيلول (سبتمبر) 2001 اجتاحت الولايات المتحدة الأميركية سلسلة من التفجيرات أودت بحياة حوالي ثلاثة آلاف شخص. وعلى الرغم من أن أحدًا، وقتها، لم يعلن مسؤوليته عن تلك الهجمات، فقد أعلنت أجهزة السلطة هناك، وقبل بدء التحقيق، أن أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ومن ورائهما حكومة الطالبان في أفغانستان، يتحملون مسؤولية تلك الهجمات، وبدأ التحضير للهجوم على أفغانستان وعلى ما سماه، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، «الإرهاب»، غامزًا، أحيانًا من قناة الإسلام و«الإرهابيين المسلمين»، وأحيانًا من قناة العرب أجمعين.

وفي الوقت نفسه أخذ ابن لادن يهاجم الولايات المتحدة الأميركية، مطلقًا التهديد والوعيد بحق من أسماهم «بالكفار» محرضًا المسلمين والعرب على محاربة هؤلاء «الشياطين». وكان يُضَمِّن، دومًا ببياناته، آيات من القرآن الكريم. وفي أحد تلك البيانات، راح يحض المسلمين على مقاطعة المسيحيين وعدم موالاتهم¹ مستشهدًا بالآية الكريمة التي تقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة 51). هذا البيان أثار لدى كثيرين ممن سمعوه أو قرأوه، شعورًا بالتعجب أو السخط أو الاستياء، وقد يكون وصل لدى البعض إلى حد توجيه التهم إلى القرآن الكريم، منها تهمة زرع بذور البغضاء والعداوة في صدور المسلمين تجاه المسيحيين، أو تهمة التناقض في آياته، إذ كيف تقول الآية (51) من سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

¹ الموالاة: التحالف.

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...} ثم تقول الآية 82 من السورة نفسها {...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى...}؟

إن معظم إخواني المسيحيين، الذين انتابهم أي من تلك الأفكار أو المشاعر لدى اطلاعهم على بيان أسامة بن لادن ذاك، وبالتحديد تلك الآية التي استشهد بها، معذرون لأنهم من المفترض ألا يكون لديهم معرفة، ولو جزئية، بالقرآن الكريم. أما إخواني المسلمين فقد أجد عذرًا لمن ليس لديه اطلاع على القرآن الكريم، على رغم أن ذلك يعتبر تقصيرًا في واجبه الديني.

إن غالبية الموضوعات التي جاءت في القرآن الكريم، قد بيّنتها آيتان من آياته أو أكثر، منها ما بيّن أسس ذلك الموضوع، ومنها ما كان لإيضاحه أو لتفصيله؛ لذا يكون من الواجب، على كل من أراد الاستشهاد بما قاله القرآن الكريم في موضوع معين، أن يُدلي، أولاً، بالآيات الأساسية، ولا يقتصر، فقط، على ما من شأنه عدم بيان أساس ما أراد الله أن يُبيّنه لنا. وكما أن الجهل أفضل من العلم الناقص، فكذلك يكون الصمت أفضل من النطق بجزء من العبارات التي تخص موضوعًا معينًا حيث لا يكون هذا الجزء كافيًا لإيضاح المقصود. فإذا اكتفينا، مثلاً، بالنطق بعبارة «لا إله» فقط نكون قد نطقنا بالكفر البينّ أما إذا أتبعناها بعبارة «إلا الله» فنكون قد نطقنا بالإيمان البينّ.

وموضوع «اتخاذ الأولياء من أهل الكتاب» وضع القرآن الكريم أسسه ليس فقط في الآية التي ذكرها ابن لادن بل هناك أيضًا آيتان أخريان أرى أن واجبه الديني كمسلم، والأمانة العلمية، كانا يقضيان بأن يقرأهما، مباشرة، بعد تلك الآية وهما: {لَا يَنْهَاكُمُ

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * (الممتحنة 9) {.

أما لماذا اقتصر ابن لادن، في بيانه ذلك، على ذكر الآية 51، فقط، من سورة المائدة من دون الآيتين، 8 و 9 من سورة الممتحنة، اللتين تحددان الحالة التي ينهى فيها الله تعالى عن «اتخاذ الأولياء من أهل الكتاب»؟ فهذا أمر يدعو إلى وضع الكثير من علامات الاستفهام، لأن أسامة بن لادن، كما قرأت وسمعت عنه، لديه معرفة جيدة بالقرآن الكريم، واطلاع واسع عليه، وبالتالي ليس له العذر، بسبب الجهل أو عدم الاطلاع على كتاب الله.

ولكنني أرى أن أسامة بن لادن قد ارتكب هنا الخطايا التالية:

أول هذه الخطايا، «كتم الحق» الذي ينهى الله تعالى عنه. وقد ذكرنا به في عدد من الآيات البينات، نذكر منها الآيتين التاليتين من سورة البقرة: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * (42)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * (159) {.

والخطيئة الثانية، هي «أذية الله، تعالى، ورسوله محمد (ﷺ)» إذ إنني أراه قد شوه كلام الله، عز وجل، بالاجتراء، مما جعل

بعض الناس يتناولون بالكلام غير اللائق، ليس فقط، بحق النبي (ﷺ) بل وبحق الدين الإسلامي الذي نَزَّلَهُ اللهُ تعالى هدىً للناس. وتقول الآية الكريمة في ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} (الأحزاب 57).

أما الخطيئة الثالثة، فهي «أذية المؤمنين». فبذلك الكلام المجتزأ جعل ابن لادن كثيرًا من الناس ومن المسؤولين في البلاد الغربية، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، يتذرعون بكلامه ليزيدوا من التضيق على المسلمين المقيمين في تلك البلاد، بل وليعتدوا عليهم أحيانًا. وفي ذلك تقول الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} (سورة الأحزاب 58).

فبسبب ما تقدم، رأيت من واجبي أن أساهم، وضمن إمكانياتي المتواضعة، في أن أوضح لإخواني المسيحيين خاصة، نظرة الدين الإسلامي إلى الدين المسيحي، وكجزء من ذلك رأيت أن ألقى الضوء على ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فكان أن وضعتُ هذا الكتاب.

وأنا أعلم أنني لست أول من بحث في موضوع ما جاء في القرآن الكريم عن السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ولن أكون الأخير بالتأكيد. فالقرآن الكريم الذي نَزَّلَ عَلَى النبي محمد (ﷺ) منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، لم ينزل فقط لتلك المجموعة من الناس التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية أيام بعثة النبي محمد (ﷺ)، كما يظن بعضهم، بل نَزَلَ للناس كافة، في أي زمان ومكان، {وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. (سبأ 28)، لذلك أرى أن أي دراسة في القرآن الكريم يجب أن تركز على معطيات العصر أو الحقبة من الزمن التي تتم فيها تلك الدراسة، وخاصة في أيامنا الحاضرة التي تشهد هذه السرعة في الاكتشافات العلمية والتقنية. ولكن هذا المنحى لا يجوز له، قطعاً، أن يؤدي إلى المساس بالأسس والفرائض.

إني لا أقول هنا، إن نظرة القرآن الكريم، تجاه الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) عامة أو المسيح (عليه الصلاة والسلام) خاصة، قد تتغير مع تغير الأزمان، فالأساس والجوهر لا يتغيران، إنما هناك بعض التفاصيل أو القصص أو الأمثلة، التي تشكل جزءاً من إعجاز هذا الكتاب، قد يتغير فهمنا لها مع تطور الفكر الإنساني، فعيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام) يعتبره القرآن، منذ نزلته الله تعالى على محمد (ﷺ) وحتى يومنا هذا وإلى أبد الأبد، رسولاً ونبيّاً وُلِدَ من أمٍّ بتول حملته بإرادة الله، عز وجل، من دون أب. ولكن إذا عدنا إلى تفاسير القرآن الكريم التي وضعت على مَرِّ العصور لوجدنا ذلك الاختلاف، مثلاً، في تحديد فترة الحمل الزمنية، إذ لم يتفق المفسرون، حسب كتب التفسير، هل امتدت تلك الفترة إلى أشهر أم اقتصرت على أيام أو ساعات معدودات أو حتى ساعة واحدة؟

أضف إلى ذلك أن الكتب التي وضعت منذ أكثر من مائة عام، مثلاً، أو أكثر أو أحياناً أقل، قد يحتاج بعضها أو بعض مقاطعها أو حتى بعض مفرداتها، إلى الكثير أو القليل من التفسير؛ فبحكم تغير الأزمنة أو الأمكنة، قد يقل أو حتى ينعدم تداول القليل أو الكثير من المفردات، فتصبح بالتالي الكلمة التي كانت مستعملة منذ مائة

أو حتى خمسين عامًا، غريبة علينا في يومنا هذا. وهنا أروي قصة قصيرة معبرة ومؤكدة لما أوردته. لقد ضمنى يومًا مجلس وبعض الأصدقاء، ولم يكن يجاوز عددنا، على ما أذكر، الستة وكانت أعمارنا يومها تراوح بين الأربعين والخمسة والخمسين عامًا، وكنت أكبرهم سنًا، وعلى رغم أن مجالس هذه الأيام، وخاصة بعد هذا الكم الهائل من محطات التلفزة الفضائية، أصبحت الأحاديث فيها التي تتناول موضوعات ذات قيمة، قليلة إن لم نقل نادرة، فقد كانت تلك الجلسة من هذه الجلسات القليلة إذ تشعب فيها البحث إلى موضوعات قيمة عدة. وأذكر أنني تطرقت في حديثي إلى البرامج المدرسية الحالية وكيف أن معظم طلاب المدارس والجامعات يجهلون قواعد علم الصرف في اللغة العربية، وأسهب قليلاً في شرح فوائد تعلم تلك القواعد. ولشدة ما فاجأني أن أحد الحاضرين سألني: ما هو علم الصرف هذا الذي تمتدحه؟ ثم تثنى آخر فثالث على تساؤله؛ والثلاثة كانوا من حملة الشهادات الجامعية.

فإذا كان الفارق الزمني الذي لا يتعدى عقدًا من الزمن، جعل أحد علوم اللغة يختفي بين أوراق الكتب القديمة، فكيف يكون الحال بالنسبة لمفردات لم تعد تستعمل نظرًا للتغير الدائم في نمط حياة الناس الناجم عن تغير وسائل المعيشة؛ فمنذ أن حلت الأسلحة النارية الحديثة، مثلاً، محل السيف والرمح، لم نعد نسمع أو نقرأ تلك الأسماء أو الأوصاف التي كانت تطلق في الماضي على أنواعهما أو أشكالهما، كذلك الحال بالنسبة لأوصاف ولأسماء الحصان والجمال التي نسيناها منذ أن حلت وسائل النقل الحديثة محلها.

ولا ننسى أيضًا تلك الكتب التي تطبع مرة واحدة أو مرتين ثم تضيع في عالم النسيان لأي سبب من الأسباب.

إلى جانب ما تقدم، فقد ألح عليّ أمرٌ آخر جعلني أضع هذا الكتاب؛ إذ كنت يومًا في لقاء محبة مع إخوان أجْلهم وأحترمهم، وقد كان أكثرهم ممن يعتنقون الدين المسيحي على مختلف مذاهبه، وكان الحديث قد تشعب، إلى أن سمعت أحدهم يقول: «إن المسلمين يقولون إن إلها هو غير إلههم حسب الآية التي تقول: (لا نعبد ما تعبدون).» فكان ذلك، بالنسبة لي، مفاجأة كبيرة، لأن ذلك الشخص بالذات، كنت ولم أزل أكن له محبة وتقديرًا خاصين، وكنت أعتقده من واسعي الاطلاع؛ فتلوت على مسمعه نص سورة (الكافرون رقم 109): { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ * } فصَحَّحت له أولاً نص الآية التي استشهد بها ثم شرحت له أن المقصود في تلك السورة، هم الكافرون الذين لا يعبدون الله ولا يؤمنون بإله واحد، أما المسيحيون فهم، كالمسلمين، من أهل الكتاب وأن الله، سبحانه وتعالى، قد أكد في كتابه الكريم أن على المسلم، كي يكون إيمانه سليمًا، أن يؤمن بالأنبياء والرسل أجمعين، ومنهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأن يؤمن أيضًا، بالكتب التي أنزلت قبل القرآن الكريم، ومنها الإنجيل. ولا ننسى ما قالته الآية 46 من سورة العنكبوت، في أن الإله الذي يعبده المسلمون والمسيحيون واليهود هو واحد: {...وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}. ولما رأيت على وجهه إمارات التعجب، طلبت منه أن يصدقني القول عما وراء كلامه ذاك، فقال: «إن المسلمين يقولون بأننا نحن أيضًا من الكفار.» فقلت له: كيف ذلك

والله، تعالى، يقول في محكم كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*}. (البقرة 62).

وبعدما أوضحت لصديقي هذا أنه، هو ومن أدخل في ذهنه تلك القناعة، كانا على خطأ، أخذت على نفسي عهداً في أن أحاول، ضمن إمكانياتي، تصحيح تلك الصورة التي لدى كثير من الناس، عن نصوص الآيات الكريمة. فكانت فكرة هذا الكتاب.

وبعد أن انتهيت من طباعة كتابي الأول «دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم» بدأت بوضع هذا الكتاب، معتمداً فيه على ما جاء في نصوص آيات القرآن الكريم، عن السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من دون سواها، حتى ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة الموثوقة. كما أنني لم أتطرق إلى أي مقارنة لنصوص آيات القرآن الكريم مع أي من مصادر أو كتب دينية أخرى، بما فيها كتب الدين المسيحي. وجل ما استعنت به هو ما تيسر لي من كتب التفسير ومعاجم اللغة كي أبلغَ فهمًا مقنعًا لنصوص تلك الآيات، يمكنني من أن أوضح للقارئ الكريم، ما أردت قوله بشكل سليم ومفهوم. وما توفيقي إلا بالله العليّ القدير.

ولا بد لي من أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى المنهجية التي اتبعتها في هذا الكتاب، فقد وضعت توطئة بينت فيها واجب المسلم بالإيمان بالأنبياء والرسل ومنهم المسيح (عليه الصلاة والسلام). ثم خصصت فصلاً أدرجت فيه نصوص الآيات التي خصها القرآن الكريم بالمسيح (عليه الصلاة والسلام)، وهذا لا يعني أنني لم أستشهد بآيات

أخرى، وتلك الآيات أدرجت نصوصها في أمكنة الاستشهاد بها. وكان من الضروري طبعاً أن أُخصّص الفصل الأول لمريم (عليها السلام). ثم أتبعته به، سبعة فصول خاصة بالمسيح عيسى (عليه الصلاة والسلام). وهي:

الفصل الثاني: حياة المسيح (عليه الصلاة والسلام)
الفصل الثالث: ألقاب وصفات المسيح (عليه الصلاة والسلام)
الفصل الرابع: المسيح (عليه الصلاة والسلام) آية للناس
الفصل الخامس: معجزات المسيح (عليه الصلاة والسلام)
الفصل السادس: ما خص الله تعالى به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من دون باقي الأنبياء والمرسلين (عليه الصلاة والسلام)
الفصل السابع: ما نفاه القرآن عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)
الفصل الثامن: تعاليم المسيح (عليه الصلاة والسلام)
يبقى أن أقول، لكل من يرى أي تباين بين معتقداته وما جاء في هذا الكتاب، «إن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية».

بيروت في حزيران (يونيو) 2004

أسامه كامل أبو شقرا

توطئة

الإيمان بالأنبياء والرسل

كل مسلم وكل من أراد اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، يتوجب عليه أن يؤمن بمعتقدات رئيسية، يطلق عليها تسمية، أركان الإيمان. هذه الأركان قد بينها الله تعالى في محكم كتابه الكريم: بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب (المنزلة) والأنبياء والمرسلين، وذلك في آيات عديدة نذكر منها:

{... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...} (البقرة 177)،
{... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا *} (النساء 136)،

أما الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم فهم خمسة وعشرون نبيًا، أولهم آدم (عليه الصلاة والسلام) وآخرهم محمد (ﷺ)، مرورًا بإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام). وقد عددهم في الآيات التالية: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* { (آل عمران 33) } قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* { (آل عمران 84) } إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا* { (النساء 163) } وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا

هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * (86) { (سورة الأنعام) ،
 {وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * { (الأعراف 65)،

{وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَأْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... { (الأعراف 73)،

{وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَأْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... { (الأعراف 85)،

{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * { (مريم 58)،

{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * { (الأنبياء 85)،

وعلى رغم أن الله، سبحانه وتعالى، فضل بعض الرسل على بعض، ومنهم عيسى (عليه السلام)، {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ... { (البقرة 253)، إلا أنه، عز وجل، يؤكد علينا وجوب عدم التفرقة بين رسله: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ... { (البقرة 285) {قُلْ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * { (آل عمران 84)

نصوص الآيات



من سورة البقرة رقم (2):

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَأَنَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقًا كَذَبْتُمْ وَقَرِيبًا تَقْتُلُونَ ﴾ (87).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٍ ﴾ (116) * بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (136)،

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (177)

﴿بَلَاكُ الرُّسُلِ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

الْيَبَّاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * (253)
 ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * (285)

من سورة آل عمران رقم (3):

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتْ أُمُّرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (35) { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنْثَىٰ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * (37)

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * (39)

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * (42) يَمْرِيئُ أَفْنَيْ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ

الْمَقَرَّبِينَ * (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ *
 (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (47)
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * (48) وَرَسُولًا إِلَىٰ
 بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
 كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ
 وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا
 تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * (49)
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ
 عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * (50) إِنَّ اللَّهَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ
 مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ
 اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ
 وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ
 وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
 إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ
 تَخْتَلِفُونَ * (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ * (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * (57) ذَلِكَ
 نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ
 اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (59) الْحَقُّ
 مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * (60)

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (84)

من سورة النساء رقم (4):

﴿وَيُكْفِّرْهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (156) وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (159)،

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ رِجُورًا﴾ (163)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (172)

من سورة المائدة رقم (5):

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (17)

(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَثُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * (46) وَلَنُحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (47)،

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * (77) لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * (78)

(يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * (109) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَمِنْكَ وَآرِزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * (115) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَغْنَتْ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَآمِيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * (117) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * (119)

من سورة الأنعام رقم (6):

(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) * (85)

(وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * (90)

من سورة التوبة رقم (9):

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أُنَّى يُؤَفِّكُونُ * (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * (31)

من سورة مريم رقم (19):

(وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * (22) فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * (23) فَوَدَّعَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * (24) وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي

نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا * (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا لِمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * (27) يَاخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا * (28) فَأُشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (36) فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * (37)

من سورة الأنبياء رقم 21:

﴿وَأَلْتَمِسْ أَرْحَامًا لَكَ وَتَكُنْ مِنَ الْغَالِبِينَ﴾ (91)

من سورة المؤمنون رقم (23):

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (50)

من سورة الأحزاب رقم (33):

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (7) لَيْسَ الْبِرُّ بِمَا كُنْتُمْ يَدْعُونَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * (8)

من سورة الشورى رقم (42):

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (13)

من سورة الزخرف رقم (43):

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (57) وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ * (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنْ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (61) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (62)﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (64) فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ * (65)

من سورة الحديد رقم (57):

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (27)

من سورة الصف رقم (61):

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (6)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (14)

من سورة التحريم رقم 66:

﴿وَمَرْيَمَ أَبْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴾ (12)

﴿مَرْيَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ عَاقِلَةٍ﴾

الفصل الأول

مريم (عليها السلام)

إن قصة ميلاد وحياة السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام) لا تنفصم عن سيرة حياة أمه، مريم (عليها السلام). ولذا رأيت من الضروري أن أبدأ بحثي هذا بفصل خاص بها، يشمل قصة مولدها وحياتها في الهيكل، ويبين صفاتها ومنزلتها بين نساء العالمين، ومن ثم حملها لكلمة الله تعالى، ابنها، عيسى (عليه الصلاة والسلام).

مولدها

لَمَّا أَرَادَ اللهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنْ يَخْلُقَ الْمَسِيحَ (عليه الصلاة والسلام)، أَرَادَ لَهُ أَنْ يُوَلَّدَ مِنْ أُمٍّ لَيْسَتْ كِبَاقِي الْأُمّهَات. لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن تقول، {أَمْرَأَةُ عِمْرَانَ (أم مريم) (عليها السلام) رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (35)} (آل عمران).

جاء في تفسير ابن كثير بأن «اسمها (أي امرأة عمران) كان حنة ابنة فاقوذ وكانت لا تحمل فرأت يوماً طائراً يزق فرخه، فاشتبهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً... فاستجاب دعائها، ولما تحققت الحمل نذرت أن يكون ولدها مفرغاً للعبادة ولخدمة بيت المقدس.» وقد كانت تتمنى أن يكون مولودها ذكراً لذلك قالت «محرراً»، لأن مثل هذا النذر كان مقتصرًا على الذكور من الأولاد من دون الإناث؛ و«محرراً» هنا تعني عتيقاً مفرغاً لعبادة الله وخدمة بيت المقدس.

وفي تفسير البيضاوي نقراً «أنها كانت عاقراً عجوزاً»، وجاء في تفسير الكشاف للخوارزمي: «روي أنها (أي امرأة عمران)

كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت، فبينما هي في ظل شجرة
بصرت بطائر يطعم فراخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته... »

إذا كانت حنة، وقد أسنت، تعرف أنها كانت عاقراً، بدليل أنها
لم تلد قبلاً، كما كانت تعلم أن الحمل للعجوز، حتى لو لم تكن
عاقراً، يصبح أمراً من الصعب جداً حدوثه. فما الذي جعلها إذاً
تدعو الله، على رغم تقدمها في السن، ليهبها ولداً ثم تنذره لعبادته
تعالى وتطلب تقبل نذرها؟ لو لم يكن ذلك أمر الله عز وجل، لئتم
إرادته في تهيئة أم تكون جديرة بحمل «كلمته» فيما بعد؟

ويموت عمران، زوجها، وهي لم تزال حاملاً، ثم تضع حنة
مولودها فإذا به أنثى فتقول {...رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى...} (آل عمران 36)؛ وكأنها هنا تتحسر لكون مولودها أنثى خوفاً من ألا
تستطيع أن تفي نذرها، لأن خدمة الهيكل كانت تقتصر على
الذكور، وبالتالي قد يرفض الأحيار السماح لابنتها بخدمة الهيكل.
ولكنها لم تتراجع عن نذرها وأطلقت على ابنتها اسم «مريم»
ومعناه في لغتهم، العابدة.

إلا أن قوله تعالى: {...وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ...} (آل عمران 36)
هو تأكيد على تمام إرادته بخلق مريم (عليها السلام) كما
أرادها هو، فلو كان المقصود بأن الله يعلم، فقط، أن ما وضعت
كان أنثى ل قالت الآية: «والله يعلم ما وضعت» ولكن قوله {وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ} تأكيد بأنه، تعالى، أعلم بكل دقائق وتفاصيل
تكوينها وحياتها وما سيكون لها من شأن ومهام. فلو مررت مثلاً،
بالقرب من مبنى ما ورأيت على هيئة بيت للسكن، لقلت هذا بيت
للسكن، إلا أن المهندس الذي وضع تصميماته وأشرف على بنائه،
يمكنه وصف أدق تفاصيله سواء من حيث المحتويات أم من جهة

المواد التي بني منها كما يمكنه تحديد وجهة الاستعمال التي أعد لها، لذلك نقول إن هذا المهندس أعلم منك بهذا البيت مهما دقت في ملاحظتك، وبالتالي نقول «إنه أعلم بما بنى».

نشأتها وكفالة زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها

وتكمل امرأة عمران دعاءها قائلة: {...وإني أعيدُها بك وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*} (آل عمران 36)، فيأتي الجواب: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ*} (الآية 37 من السورة نفسها). وفي هذا الجواب تأكيد أيضًا على إتمام مشيئته في تحضير، اليتيمة، مريم (عليها السلام)، لأمر عظيم، لذا كان قبول ربها لها حسنًا، {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...} أي أنشأها نشأة حسنة لجهة الأخلاق الحسنة والطهارة والعصمة. وهل من مربٍ أفضل من نبيٍّ من أنبياء الله الصالحين، يمكن أن تعهد إليه مهمة تنشئة أمٍّ صالحة؟ ولذا {كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} من دون غيره من الأبحار، {...وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ...} (من الآية 44 آل عمران رقم 3). يقول المفسرون إن الأبحار تنافسوا في من يكفل مريم (عليها السلام) فقرروا أن يقترحوا فيما بينهم؛ يقول الجلالان في تفسيرهما للآية 37 من سورة آل عمران: «فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها». وكان {...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ* { (آل عمران 37). وهذا يؤكد رعاية الله، سبحانه، لمريم (عليها السلام) رعاية كاملة، فإلى جانب كفالة النبي زكريا (عليه السلام) لها كان ربها يبعث لها بطعامها. ويقول ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء»¹: «قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلاً ونهاراً، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والشريفة، حتى أنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: «أَتُنِي لَكَ هَذَا» فتقول: «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أي رزق رزقنيه الله «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب».

طهارتها

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)* يَمْرُؤُا أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)*} (آل عمران)

جاء في تفسير البيضاوي لهاتين الآيتين: «كلموها شفاهاً (أي الملائكة) كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة لزكريا أو إرهاباً لنبوة عيسى عليه السلام، فإن الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبيء امرأة لقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا». وقيل ألهموها، والاصطفاء الأول تقبلها من

¹ قصص الأنبياء لابن كثير - الطبعة السابعة 2002 - دار ابن كثير

أَمَهَا وَلَمْ يَقْبَلْ قَبْلِهَا أَنْثَى وَتَفْرِغُهَا لِلْعِبَادَةِ وَإِغَاؤُهَا بِرِزْقِ الْحِنَةِ
عَنِ الْكَسْبِ وَتَطْهِيرُهَا عَمَّا يَسْتَقْدِرُ مِنَ النِّسَاءِ. وَالثَّانِي هِدَايَتُهَا
وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السننية كالولد من
غير أب وتبرئتها مما قذفها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها
آية للعالمين. »

فلماذا هذا الاصطفاء والتطهير والأمر لها بالقنوت والتعبد
لربها إن لم يكن تأكيداً لإرادته تعالى، في أن تكون مريم (عليها
السلام) أهلاً لأن تصبح أمّاً، لكلمة الله، عيسى، (عليه الصلاة والسلام)؟

عذريتها

عذراء، لغة، «بكر لم يمسه¹ رجل» (لسان العرب، باب
عذر). ولقد أكد القرآن عذرية مريم (عليها السلام) في غير
موضع: منها في سورة آل عمران رقم (3)، بقوله: {إِذْ قَالَتِ
الْمَلَكَةُ يَمْرُؤٌ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ ... (45)، فجاء جوابها أن {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ... (47)}.

ثم في سورة مريم (رقم 19)، عندما قال لها جبريل (عليها
السلام)، {...إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)}
فأجابته قائلة: {... أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا (20)}

ثم في سورة الأنبياء رقم (21) إذ يقول: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ*
(91)}

¹ المس هنا: المجامعة.

وفي سورة التحريم رقم (66) {وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} وَكَانَتْ مِنَ الْفَلَتَيْنِ * (12)

عفتها

يقول المعلم بطرس البستاني في (محيط المحيط): «عفت الرجل يعف عفاً وعفافاً وعفاً وعفة كفت عما لا يحل ولا يحمل قولاً أو فعلاً وامتنع... والعفة مصدر عفت وترك الشهوات أي شهوات كل شيء.»

لقد اتهم بنو إسرائيل مريم (عليها السلام) بالزنا، فاعتبر الله ذلك بهتاناً عظيماً، وقرنه بالكفر في آية واحدة {وَبُكَفِّرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا *} (النساء 156). والبهتان لغة، «الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل وبمعنى الظلم». «محيط المحيط».

ويقول الطبري في ذلك، في تفسيره: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم وقولهم على مريم بُهْتَانًا عَظِيمًا يعني: بغيرتهم عليها، ورُميهم إياها بالزنا، وهو البهتان العظيم لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به بغير ثبوت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.»

وجاء التأكيد، أيضاً، على عفتها في الآيتين التاليتين: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ *} (الأنبياء 91).

{وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} (التحريم 12)

عصمتها

{... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*} (آل

عمران 36)

جاء في تفسير البيضاوي: «وعن النبي (ﷺ) «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل (صارحاً) من مسه إلا مريم وابنها». ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة. « وجاء مثل ذلك في تفسير الجلالين وكتاب قصص الأنبياء لابن كثير.

منزلتها (عليها السلام) بين نساء العالمين

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرُؤٌ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ*} (الآية 42 من آل عمران 3).

جاء في (القاموس المحيط للفيروزبادي): «اصطفاه كاستصفاه، أخذ منه صفوه واختاره وعده صفياً».

فلماذا هذا التكرار لكلمة «اصطفاك»؟ وليس في القرآن الكريم كلمة، واحدة، وردت عبثاً أو من دون سبب، ولذا فإني أرى أن كلمة «اصطفاك» الأولى تأتي هنا من «أخذ منه صفوه» أي أزال منها كل شائبة ليطهرها. أما كلمة «اصطفاك» الثانية فأفهمها بأنه، تعالى، اختارها من دون جميع نساء العالمين.

وهل من منزلة أرفع من منزلة كهذه؟ إذ لم تكتفِ الآية بأن تذكر أن الله، سبحانه، اصطفاه فقط، بل أضافت، «على نساء العالمين». إن تعديّة فعل اصطفى، بحرف الجر «على» هنا تدل على أن الله جعل منزلتها فوق منزلة نساء العالمين كافة.

ومريم (عليها السلام) الوحيدة من النساء التي ذكر اسمها في القرآن الكريم. وهي الوحيدة التي ألقى إليها الله كلمته {... وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ...} (من الآية 171 سورة النساء رقم 4). وهي الوحيدة التي حملت من دون أن يمسه رجل. وهي الوحيدة من أمهات الأنبياء والمرسلين التي قُرِنَ اسمُ ابنها باسمها، ففي معظم الآيات نقرأ «عيسى ابن مريم» أو «المسيح ابن مريم» أو «ابن مريم». وهي الوحيدة من النساء التي أكد القرآن عذريتها وعفتها بوصفه لها ب {... أَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...} (من الآيتين الأنبياء 91 والتحريم 12). وهي الوحيدة من النساء التي جعلها الله آية. وهي الوحيدة من النساء التي وصفها القرآن بالصِدِّيقَةِ {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...} (المائدة 75). ولا ننسى أن السورة رقم (19) من سور القرآن الكريم قد سميت باسمها.

مريم (عليها السلام) آية للعالمين
{وَأَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ*} (الأنبياء 91)
{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ*} (المؤمنون 50)
جاء في (القاموس المحيط للفيروزبادي): «الآية، العلامة والعبارة والإشارة ومن القرآن كلام متصل إلى انقطاعه. « وفي كتب التفسير: الآية، «علامة على قدرة الله عز وجل. «
فهي آية في ولادتها من أم، كانت عاقراً ثم حملتها بعد أن عجزت.

وهي آية في طفولتها وحدثاتها، بقوله، تعالى، {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ آتَى لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ*} (آل عمران

(37) وقد سبق وأوضحنا معنى هذه الآية في أول هذا الفصل في
فقرة (نشأتها وكفالة زكريا (عليه الصلاة والسلام) لها).

وهي آية في حملها المسيح (عليه الصلاة والسلام) وهي البتول¹ التي لم
يمسسها بشر. كما أكدته الآيتان:

{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ *} (آل
عمران 47).

{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا *}
(مريم 20).

مريم (عليها السلام) صِدِّيقَةٌ
{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ...} (المائدة 75)،
{وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَنْفَخُنَا فِيهِ مِنْ
رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْفَتْنَتَيْنِ *}
(التحریم 12)

صِدِّيقَةٌ مؤنث صِدِّيق والصِدِّيق لغة: «الكثير الصدق والدائم
التصديق والكامل فيه والذي يصدق القول بالعمل» (محيط
المحيط). وفي تفسير الجلالين أن مريم كانت «مبالغة في
الصدق».

¹ البتول من النساء: العذراء المنقطعة من الأزواج. (لسان العرب)

بشارة الملائكة لها
 {إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ
 الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
 الْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «والتبشير: إخبار المرء
 بما يسره من خبر. وقوله: {بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ} يعني: برسالة من الله،
 وخبر من عنده، وهو من قول القائل: ألقى فلان إليّ كلمة سرني
 بها، بمعنى: أخبرني خبراً فرحت به، كما قال جل ثناؤه: {وَكَلَّمَتْهُ
 أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ} يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها. »

حملها (عليها السلام) المسيح (عليه الصلاة والسلام)
 {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا *
 (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
 بَشَرًا سَوِيًّا * (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا *
 (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * (19) قَالَتْ
 أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا * (20) قَالَ
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلْهُ عَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا
 وَكَانَ أَمْرًا مَّفْضِيًّا * (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا *
 (22) { (مريم)

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
 وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ*} (الأنبياء رقم 91)
 {وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ
 رُّوحِنَا وَصَدَقْتُ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الضُّمُّ مِنَ الْقَنَاطِينِ*}
 (التحریم 12)

تبين هذه الآيات كيف تم حملها المسيح (عليه الصلاة والسلام) بأمر من الله، عز وجل، فتقول إن مريم (عليها السلام) اعتزلت ديار أهلها، لجهة الشرق، حيث قصدت مكاناً احتجبت فيه عن أنظارهم، فلا يرونها؛ فأرسل الله تعالى، إليها ملاكا بصورة بشر، هو، حسب كتب التفسير، جبريل؛ فقالت له {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا*} ، فهدأ من روعها قائلاً {إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا*} والغلام الزكي: «هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب: غلام زاك وزكي، وعال وعليّ. » (تفسير الطبري) فتعجبت كيف يكون لها ولد وهي التي لم يقربها الرجال سواء بالزواج أو بغيره (بالزنا)؛ فأجابها أن تلك هي مشيئة الله وأن ذلك عليه هيّن، وليكون هذا الحمل ومعه الولادة علامة للناس على قدرته، عز وجل، وليكون، أيضاً، هذا الغلام رحمةً لهم. فتم الحمل بأمره، تعالى.

أما كيف تم الحمل؟ فتقول الآية رقم (91) من سورة الأنبياء، {وَأَلْتَمِسْ أَرْحَامًا لَّعَالَمِينَ*} والآية رقم (12) من سورة التحريم {وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا

يقول الطبري في تفسير الآية (91) من سورة الأنبياء: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ. وذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعني بقوله: أَحْصَنَتْ: حفظت، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه. واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته، فقال بعضهم: على بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عَنَى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها وقبل أن تثبته معرفة. قالوا: والذي يدل على ذلك قوله: فَفَقَّخْنَا فِيهَا ويعقب ذلك قوله: وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا قالوا: وكان معلوماً بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها فَفَقَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه والأظهر في ظاهر الكلام. فَفَقَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا يقول: فنفقنا في جيب درعها من روحنا. »

وقد جاء ما يماثل قول الطبري في معظم كتب التفسير ومنها تفسير الجلالين والبيضاوي. أي أن الجميع يؤكدون أن الحمل تم بالنفخ في جيب درع مريم (عليها السلام). ودرع المرأة: قميصها. وهكذا تم حملها للمسيح (ع) من دون أب، ولهذا سمي: «الحبل بلا دنس».

الفصل الثاني

حياة المسيح عيسى (عليه الصلاة والسلام)

ميلاده

وبعد أن روت لنا الآيات من رقم 16 إلى رقم 21 من سورة مريم، كما في فقرة «حملها (عليها السلام) المسيح (عليه الصلاة والسلام)» من الفصل السابق، تتابع الآيات التاليات من السورة، رواية قصة ميلاد ابنها المسيح عيسى (عليه الصلاة والسلام):

{فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * (23) فَادَّارَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا * (24) وَهَزَى إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ نَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا * (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * (26) فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا * (27) يَاخُتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا * (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * (36)}

مدة الحمل والولادة

لم يعط القرآن أي إشارة تدل على مدة حمل مريم (عليها السلام) للمسيح (عليه السلام والسلام) كما لم يتفق المفسرون على تلك المدة، فمنهم من قال إنها امتدت لسبعة أشهر، ومنهم من قال ستة، ومنهم من قال ثمانية، ومنهم من قال ثلاث ساعات، ومنهم من قال ساعة واحدة. ولكنني لم أعثر، في المراجع التي اطلعت عليها، على أن أحداً منهم أورد ما يبرر قوله في تلك المدة. وقد جاء في تفسير زاد المسير¹ عن ذلك: «وفي مقدار حملها سبعة أقوال .

أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعت في الحال، لأن الله تعالى يقول: {فحملته فانتبذت به}، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباذ به .
والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن .

والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جببر، وابن السائب .
والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعت في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان .
والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعيش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج .
والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي .
والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي. »

¹ لأبي الفرج ابن الجوزي. وهو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج.

أما أنا فإنني أرى أن مدة الحمل هذه يفترض أن تكون قصيرة جداً لا تتعدى بضعة أيام أو ربما كانت يوماً أو بعض يوم، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: قال تعالى في محكم كتابه الكريم: {...وَلَنَجْعَلُهَا آيَةً لِلنَّاسِ...} (مريم 21) {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ..} (الأنبياء 91) {...وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...} (المؤمنون 50). والآية هنا، هي علامة على قدرة الله، عز وجل¹. فكي تكتمل عناصر كون عيسى (عليه الصلاة والسلام) آية، وجب أن يكون كل ما خصه، مختلفاً عن باقي البشر. فكما خلقه الله تعالى من غير أب، وكما تم حمل أمه به بالنفخ من روح الله، وكما تكلم في المهد، وغير ذلك من المعجزات التي جاء بها بإذن ربه، فلذلك إنني أرى أن تكون مدة حمل أمه به، أيضاً مغايرة لها لدى سائر النساء، وبالتالي فإن مدة حمل مريم (عليها والسلام) للمسيح (عليه الصلاة والسلام) يفترض أن تكون أقصر من أقصر مدة حمل معروفة عند باقي النساء، بل أقصر من أي مدة يقر العلم بقبولية المولود فيها للحياة، ويقول علم الطب الحديث بأن الجنين يكتمل نموه فيما بين 36 و42 أسبوعاً، ولكنه يكون قابلاً للحياة إذا ما ولد بعد 24 أسبوعاً أو أكثر؛ وقد أفادني الدكتور شوقي غريزي، وهو من مشاهير الأطباء من ذوي الاختصاص في التوليد والطب النسائي، بأنه قد حصلت ولادة بعد فترة حمل لم تزد عن 22 أسبوعاً. وهذا ما يزيدي اعتقاداً بفرضية أن فترة الحمل بالمسيح (عليه الصلاة والسلام) كانت أقصر، حتى، من فترة الاثنتين والعشرين أسبوعاً هذه. وعلى من يقول إن الأجهزة الحديثة تقوم، في أيامنا هذه، مقام رحم الأم في حال الولادة

¹ القاموس المحيط للفيروز ابادي.

المبكرة، مما يساعد في قابلية الحياة لمولود كهذا؛ أجيّب بأن الذي خلق العلماء، الذين صنعوا تلك الأجهزة، لا يصعب عليه أن يجعل مثل هذا المولود قابلاً للحياة، خاصة إذا كان هو الذي أمر بتكوينه وخلقهِ. {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* (59) (آل عمران)}

ثانيًا: إن قدرة الله، عز وجل، ليس لها حدود. فهو {... إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} (مريم 35) {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} (يس 82) {...فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} (غافر 68)، فعملية التكوين، عند الله، تعالى، لا تكون مرتبطة بعامل الزمن، إلا إذا كانت عملية تكوين عادية مما وضع له، سبحانه، ناموساً تتم بمقتضاه. وإذا عدنا إلى سورة مريم رقم (19) لقرأنا أنه عندما جاء الملاك مريم (عليها السلام)، قائلاً: {... إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا* (من الآية 19) قالت له: {...أَتُنِيَّ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا*} (من الآية 20) أجابها: {... كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَينٍ...} (من الآية 21)؛ فهل ترى معي، أيها القارئ الكريم، أن المعجزة، أو أن المقصود بالهين على الله تعالى، هنا، هو فقط في تلقيح أو وضع بويضة ملقحة في رحم مريم (عليها السلام) من غير أن يجامعها رجل أو من غير أن تفقد عذريتها؟ خاصة بعد ما رأيناه ولم نزل نراه في عصرنا الحاضر من الاكتشافات العلمية لأسرار الخلق، من التلقيح الاصطناعي إلى أطفال الأنابيب إلى الاستنساخ... ثم ألم يسمع أي منا عن حدوث الحمل لدى بعض العذارى من جراء مداعبة خارجية، أو عن عدم تمزق غشاء البكارة لدى بعضهن على رغم حصول الإيلاج، لكون ذلك الغشاء مرناً ومطاطاً جداً أو ذا انفرج زائد؟ أفلا يعقل

إِذَا، أن يكون ذلك الّهين، عليه تعالى، هو في إعطائها جنيناً مكتمل النمو وقابلاً لأن يولد حياً في وقت قصير جداً؟ وبالتالي تقصير مدة ذلك الحمل، بجعل الجنين يتكون وينمو ويكتمل في أيام أو حتى في ساعات؟ كما أنني أعتقد أن المقصود، في تلك الآية، ليس بشارة مريم (عليها السلام) بأنها سترزق بغلام زكي؛ فقد بشرتها الملائكة بذلك في الآية 45 من سورة آل عمران: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...}؛ بينما نرى جبريل (عليه السلام)، يؤكد لها أنه جاء ليهب لها غلاماً: {... إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًا*}. ألا يجوز أن يكون هذا الغلام هو ذلك الجنين المكتمل النمو، المهيأ لأن يولد فوراً؟

ثالثاً: إن الله، عز وجل، خلق الإنسان من تراب: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ*} (سورة الأنعام 2) {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ*} (الحجر 26) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ...} (الحج 5) {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ*} (المؤمنون 12). فهل يصعب على هذا الخالق أن يخلق إنساناً ساعة يشاء؟ ويقول «الغزالي» في كتابه «تهافت الفلاسفة»: «إن المادة قابلة لكل شيء: فالتراب، وسائر العناصر يستحيل نباتاً، ثم النبات يستحيل، عند أكل الحيوان له، دماً ثم الدم يستحيل منياً، ثم المنى ينصب في الرحم فيخلق حيواناً وهذا بحكم العادة واقع متناول. فلم يحيل الخصم أن يكون في مقدرات الله تعالى، إن يدير المادة في هذه الأطوار في وقت أقرب مما عهد

فيه؟»¹ وهذا يجعلني أتمسك برأي بأن الله الذي خلق كل شيء، بما فيه الإنسان، ووضع سنن الكون، وهو القادر الذي لا حدود لقدرته، ليس صعباً عليه أن يبذل أيّاً من تلك السنن وفي أي لحظة شاء، وبالتالي أن يخلق المسيح في ساعات معدودات أو حتى في ساعة واحدة.

رابعاً: إن الله، تعالى، الذي أعطى نبيه ورسوله عيسى (عليه الصلاة والسلام) قوة خلق الطير بإذنه، من دون ربط هذا الخلق بعامل الزمن {... أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ...} (من الآية 49 من آل سورة عمران 3)، أليس هو بقادر على أن يخلق ما يريد من دون الارتباط بعامل الزمن الذي وضعه بنفسه من ضمن ما وضع من نواميس الكون؟

خامساً: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ...} (مريم 23)، جاء في تفسير البيضاوي لهذه الآية: «{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ} فَأَلْجَأَهَا الْمَخَاضُ... إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء، ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياته ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة² النفساء الموافقة لها. » مما تقدم نفهم أن النخلة اليابسة أزهرت ولقحت أزهارها فأثمرت ثم نضج ثمرها، كل ذلك بأمره تعالى، وفي دقائق معدودات. فهل يبقى لدينا أي مقدار من الشك في أنه ليس

¹ المنفذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال. تحقيق الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد طبعة دار الأندلس ص: 23.

² الخرسة : التي تطعمها النفساء نفسها.

من الصعب عليه، عز وجل، أن يخلق إنساناً في ساعاتٍ معدوداتٍ أو حتى في ساعةٍ واحدة؟

سادساً: ويقول تعالى في كتابه الكريم: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ*} (آل عمران 37). وقد أثبتنا سابقاً ما قاله ابن كثير، في كتابه «قصص الأنبياء»، بأنها كانت «تقوم بما يجب عليها من سداة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والشريفة، حتى أنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: «أَنَّى لَكَ هَذَا» فتقول: «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أي رزق رزقنيه الله «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»¹. ورأى غير واحد من المفسرين ما يحاكي رأى ابن كثير هذا. ثم يقول، سبحانه وتعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِئُمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ*} (الآية 42 من آل عمران). إن امرأة اصطفاها الله، عز وجل، وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وأرادها أن تكون آية على قدرته عز وجل، وأنعم عليها بما ذكرنا من الصفات والأخلاق والسيرة الحسنة، بل وجعلها مضرب مثل في التعبد، وعصمها من مس الشيطان لها، إن مثل هذه المرأة، لا أتصور أن الله، عز وجل، سيسمح بأن تكون عرضة لللسنة الناس تنفوه بما قد يسيء إلى سمعتها أو أخلاقها ولو همساً، سواء

¹ قصص الأنبياء ص: 574

بظهور حملها لمدة طويلة، أم أيضاً، بابتعادها عن أهلها مدة قد تزيد عن اليوم الواحد، عندما قال: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا *} (مريم 22)، ويقول «تفسير زاد المسير»، في هذا: إن ابتعادها عن أهلها كان بأن «مشت ستة أميال». ثم لو عدنا إلى ما جاء في الآية 26 من سورة مريم، {... فَأَمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا*}، لوجب علينا التساؤل عن المقصود بأحد من البشر؟ فهل هو أي إنسان قد تلتقيه سواء ممن يعرفونها أم لا؟ وهل عليها التبرؤ أمام من لا يعلم عنها أو عن حملها أي أمر؟ بالطبع يجب أن يكون ذلك الإنسان ممن يهتم لأمرها وبالتالي أن يكون من أهلها. ثم نسأل: أي يوم هو المقصود بقوله (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)، هل هو كل يوم قد ترى فيه بشراً؟ أم هو أول يوم لها بعد الولادة؟ وهل يعقل أن يفرض عليها الصمت الدائم؟ أو حتى لمدة قد تزيد عن بضعة أيام؟ ولنذكر أن زكريا (عليه السلام)، يوم بشر بيجي (عليه السلام)، فرض عليه الصوم عن الكلام ثلاثة أيام فقط. مما تقدم نستنتج أن المسافة فيما بين المكان الذي وضعت فيه، وديار أهلها كانت أقل من مسيرة اليوم الواحد، وبالتالي يكون ذلك اليوم هو اليوم نفسه الذي ولد فيه المسيح (عليه السلام)، والذي عادت فيه مريم (عليها السلام)، إلى أهلها. ولا ننسى أن الله تعالى هو الذي دحض اتهام اليهود لها بالزنا بقوله: {وَيُكْفِّرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} (النساء 156)، واصفاً ذلك الاتهام بالبهتان، وقرنه بالكفر. ألا تكفي هذه الآية دليلاً على إرادته تعالى في إبقاء مريم (عليها السلام) فوق الشبهات؟

سابعاً: ثم إن ما من كلمة أو حرفٍ ورد في القرآن الكريم عن عبث أو من دون مبرر. فلو أعدنا قراءة الآيات رقم (16) وما يليها من سورة مريم، للاحظنا أنها تروي لنا قصة الحمل والولادة

معتمدة حرف العطف (ف) للربط بين الأحداث. «والفاء من حروف العطف، ولها ثلاثة مواضع: يُعْطَفُ بِهَا وَتَدُلُّ، على الترتيب والتعقيب مع الإشراك»¹، فإذا قلت: «جاء زيد فسمير»، يعني أن زيدا وسميرا اشتركا في المجيء، وأن زيدا جاء أولا وبعده سمير من دون مهلة بينهما... ونقول تلك الآيات: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} * (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * (17) {ثم بعد انتهاء الحوار بين مريم (عليها السلام) والملاك بقوله: إن تلك هي مشيئة الله تعالى، تقول الآيات: {فَحَمَلَتْهُ فَاتَّيَبَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} * (22) فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جُذْعِ النَّخْلَةِ... * (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي... * (24) وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا} * (25) فَكَلِمَةَ أَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ أَیُومًا إِنْسِيًّا} * (26) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ... * (27) }.

ألا ترى معي أيها القارئ الكريم أن هذه الأحداث قد حصلت في أوقات متتالية من دون مهلٍ فيما بين الحدث والذي يليه؟ فلو أراد العطف والترتيب فقط، ومن دون التعقيب، لاستعاض عن «الفاء» ب «ثم».

هذا كله يجعلني أفدّر أن مدة حمل مريم (عليها السلام) للمسيح (عليه الصلاة والسلام) يقتضي ألا تتعدى مدة تحقق الناس من حملها، بظهور الحمل عليها، وبالتالي أراها لا تتعدى اليوم الواحد أو اليومين، لتكوّن الجنين، بإرادة الله، في رحم مريم (عليها السلام) منذ لحظة ظهور الملاك عليها، حتى وضعها المولود؛ وبذلك يكون،

¹ لسان العرب - ابن منظور.

قد اكتمل أهم عناصر «الآية» التي أرادها الله، عز وجل، عندما قال: {...وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ...} (مريم 21). والله أعلم.

اسمه

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...} (آل عمران 45)
لقد وردت هذه التسمية (المسيح عيسى ابن مريم) أيضًا في الآيتين (157 و 171) من سورة النساء. إلا أن القرآن الكريم ذكر عيسى (عليه الصلاة والسلام) في آيات أخرى كما يلي:

عيسى ابن مريم: في الآيتين 87 و 253 من سورة البقرة، وفي الآيات 46 و 78 و 110 و 112 و 114 و 116 من سورة المائدة، وفي الآية 34 من سورة مريم، وفي الآية 7 من سورة الأحزاب، وفي الآية 27 من سورة الحديد، وفي الآيتين 6 و 14 من سورة الصف.

عيسى: في الآية 136 من سورة البقرة، وفي الآيات 52 و 55 و 59 و 84 من سورة آل عمران، وفي الآية 163 من سورة النساء، وفي الآية 85 من سورة الأنعام، وفي الآية 13 من سورة الشورى، وفي الآية 57 من سورة الزخرف.
ابن مريم: في الآية 50 من سورة المؤمنون، وفي الآية 57 من سورة الزخرف.

المسيح ابن مريم: في الآيات 17 و 72 و 75 من سورة المائدة، وفي الآية 31 من سورة التوبة.
المسيح: في الآية 172 من سورة النساء، وفي الآية 72 من سورة المائدة، وفي الآية 30 من سورة التوبة.

أما في معنى كلمة «المسيح» فقد جاء في تفسير «زاد المسير»:

«وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال .
أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص والأخمص ما يتجافى عن الأرض، من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس .
والثاني: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد .
والرابع: أن معنى: المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى: هذا أن الله مسحه قطره من الذنوب.

والخامس: أنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، ذكره ثعلب، وبيانه أنه كان كثير السياحة .

والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً، بالدهن قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد المسيح: في كلام العرب على معنيين أحدهما المسيح الدجال، والأصل فيه الممسوح لأنه ممسوح أحد العينين، والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية مشيحاً، بالشين فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سينا كما قالوا: موسى وأصله بالعبرانية: موشى قاله ابن الأنباري، وإنما بدأ بلقبه فقال: المسيح عيسى بن مريم لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي يشتبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدمه لشهرته ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. »

ويقول المعلم بطرس البستاني في معجمه (محيط المحيط):

المسيح، «هو بالعبرانية مشيح وبالسريانية مشيحا وبال يونانية خريستس معناهن ممسوح. سُمي به لأنه مُسح من الله كاهنًا ونبياً ومَلِكًا. وكانت العادة في القديم أن يُمسح الكهنة والملوك بالدهن. أن «عيسى اسم عبراني أو سرياني وقيل هو مقلوب يسوع وهو عبراني أيضاً ولعله تحريف عيسو».

أما «البيضاوي» فيقول:

«المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا معناه: المبارك، وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لأنهما مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يَقم في موضع، أو مسحه جبريل، ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة، تكلف لا طائل تحته،»

«وابن مريم صفته، وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب. »
ويقول «ابن كثير»:

«وسمي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من نوي العاهات برىء، بإذن الله تعالى.»

وفي تفسيره للآية (172) من سورة النساء يقول «الطبري»:
«وأصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فعيل، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الأدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه، ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله: المسيح: الصديق. وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية «مَشِيحًا» فعزّبت، فقليل المسيح،

كما عَرَّب سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى».

حدثه

كل ما ذكره القرآن الكريم عن حادثة المسيح (عليه الصلاة والسلام) هو أن الله سبحانه وتعالى، آواه وأمه إلى ربوة ذات قرار ومعين: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} * (المؤمنون 50) ولم يحدد مكان تلك الربوة. وقد اختلف المفسرون في تحديد ذلك المكان.

فقد جاء في تفسير «الطبري»:

«وقوله وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ يَقول: وضمناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه. إذا صار إليه وعلى مثال «أفعلته» فهو يُؤويه. وقوله إلى رَبْوَةٍ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما ...

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين.. وقال آخرون: هي دمشق.»

وفي تفسير «البيضاوي» نقراً: انها «أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر.»

أما «ابن كثير» فيقول أيضاً بأن المفسرين اختلفوا في تحديد مكان تلك الربوة. وفي تفسيره لصفة: {ذَاتِ قَرَارٍ} يقول «ذات خصب وماء ظاهر.»

والقرار لغة: «المطمئن من الأرض والمستقر الثابت منها. ومعن الماء يمعن معناً فهو معين». (محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني). وفي كتاب (كلمات القرآن تفسير وبيان، لفضيلة الأستاذ

الشيخ حسنين محمد مخلوف) يقول: «إلى ربوة: على مكان مرتفع من البلاد. ومعين: ماء جار ظاهر للعيون.»
وأعتقد أن الله تعالى أراد، لسبب لا يعلمه إلا هو، أن يُبعد المسيح (عليه الصلاة والسلام) عن الناس جميعاً قبل رسالته، وهذا ما أفهمه من قوله تعالى: {وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ*} (آل عمران 46). وفي لسان العرب «الكَهْلُ: الرجل إذا وَخَّطه الشيب ورأيت له بجاله¹، وفي الصحاح: الكَهْلُ من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووَخَّطه الشيب». وفي تفسير زاد المسير يقول: «الكهل عند العرب الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم قد اكتهل النبات»، كما أن معظم المفسرين قالوا بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام) بدأ في إبلاغ رسالته إلى الناس، بعد بلوغه الثلاثين من العمر.

وفاته ورفعته إلى الله تعالى
قال تعالى: {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ*} (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِيَاةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ*} (55) (آل عمران)

جاء في تفسير «الطبري» لهاتين الآيتين ما يلي: «يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} فد²، صلة من قوله: {وَمَكَرَ اللَّهُ} يعني:

¹ بَجَالَه: بَطْنٌ.

ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: {إِنِّي مُتَوَقِّفُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فتوفاه ورفعاه إليه. »

وقد اختلف المفسرون في معنى الوفاة، فمنهم من قال بأنها كانت بالموت ومنهم من قال بأنها كانت بالنوم. ولكنهم اتفقوا على أن الله تعالى، رفعه إليه، وطهره من الذين كفروا. كما أن معظمهم يقول بأنه لم يمت.

وقد جاء في تفسير (الطبري): «قال أبو جعفر: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ}». »

كما يذكر القرآن الكريم أيضاً وفاة المسيح (عليه الصلاة والسلام) في الآيتين التاليتين:

{... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*} (المائدة 177)
{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مريم

(33)

الفصل الثالث

ألقاب وصفات المسيح (عليه الصلاة والسلام)

نبي ورسول

النبي لغة: «المخبر عن الله، عز وجل» (كما في باب «نبا» في «لسان العرب» و«محيط المحيط للبستاني») والرسول: «معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذًا من قولهم جاءت الإبل رسلًا أي متتابعة. وقال أبو إسحق النحوي في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه: {فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} مَعْنَاهُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَي نَوَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ،» (كما في باب «رسل» في «لسان العرب»).

لقد ذكر القرآن الكريم نبوة المسيح (عليه الصلاة والسلام) في الآيات التالية: رقم (89) من سورة الأنعام {أَوَّلِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ...}. هذا بعد أن يعدد بعضًا من الأنبياء في الآيات التي سبقتها بمن فيهم المسيح (عليه الصلاة والسلام) و(30) من سورة مريم {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *} و(7) من سورة الأحزاب {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا *}

أما ذكره (عليه الصلاة والسلام) كرَسُول فقد جاء في تسع آيات وهي:
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ...}. (البقرة 87)

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ...}. (البقرة 253)،
 {...وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ...} (آل عمران 49)،
 {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ*} (آل عمران 53)،
 {وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...} (النساء 157)،
 {... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ...} (النساء 171)،
 {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...} (المائدة 75)،

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ*} (المائدة 111)،
 {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ...} (الصف 6)

زكي

عندما نزل الملاك على مريم (عليها السلام) وتمثل لها بشراً فأوجست منه خيفة {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} (مريم 19).

والرجل الزكي لغة كما جاء في «محيط المحيط للبيستاني» هو: «من صلح وتنعّم وكان في خصب. وزكاه الله تعالى تزكية أنماه وطهره.» و في تفسير «البيضاوي» أن زَكِيًّا تعني: «طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح.»

وفي تفسير «الطبري»: «الغلام الزكيّ: هو الطاهر من الذنوب».

عبد الله

بعد أن ولدته (عليه الصلاة والسلام)، وجاءت به أهلها، الذين استنكروا ما رأوه، أشارت مريم (عليها السلام) إليه، {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *} (مريم 30).

وقد تكررت هذه الصفة على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في القرآن الكريم، أيضًا، في الآيتين: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا *} (النساء 172) {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ} (الزخرف 59).

وكل مخلوق هو عبد لخالقه والناس كلهم عباد الله، عز وجل، الذي خلقهم، بمن فيهم الأنبياء والرسل، مهما علت درجاتهم عنده. وقد جاء في «محيط المحيط للبستاني» (في باب عبد): «عَبْدَ الله تعالى طاع له وخضع ونذل وخدمه والتزم شرائع دينه ووحده... والعبد الإنسان حرًا كان أو رقيقًا.» وفي «لسان العرب» العبد: الإنسان، حرًا كان أو رقيقًا، يُذْهَبُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ، جَلَّ وَعَزَّ.

مبارك

{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *} (مريم 31)

جاء في لسان العرب «المبارك ما يأتي من قبله الخير الكثير» وفي «تفسير الجلالين»: «نفاعًا للناس». وهل جاء من المسيح (عليه الصلاة والسلام)، غير الخير والنفع للناس؟

من الصالحين

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ*} (آل عمران 46) {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ*} (الأنعام 85)،

في لسان العرب «رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومُصلِح في أعماله وأُموره، وقد أَصلَحَه الله». ولقب «صالح» أطلق في القرآن الكريم على جميع الأنبياء والمرسلين الذين ذكرت أسماءهم فيه.

من المقربين

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

في تفسير الطبري: «{وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} فإنه يعني: أنه ممن يقربه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره، ويدنيه منه.» وهل من منزلة أرفع من أن يكون الإنسان مقربًا عند الله تعالى، يوم القيامة؟

من المنعم عليهم

{إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَمْرِي فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَمْرِي وَتَهْبِئُ الْأَعْمَاءَ وَالْأَبْرَصَ بِأَمْرِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَمْرِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَنَّتْهُمْ بِالْبَيْتَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ*} (المائدة 110)

{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ *}
(الزخرف 59).

رسول ونبي وزكي وطاهر ومعصوم ومبارك وصالح ووجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين عنده تعالى... إلى آخر ما اختص به، من صفات وقدرات وآيات... ألا يكفي ذلك كله لِيُعَدَّ نعمًا أنعمها الله تعالى على المسيح (عليه الصلاة والسلام)؟

كلمة الله
{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...} (آل عمران 45)،
{...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ...} (النساء 171)،

إن كتب التفسير التي اطلعت عليها لغاية هذا البحث، قد أجمعت أن صفة «الكلمة» أطلقت على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لأن الله تعالى، خلقه بكلمة «كن»، كما في الآيتين (35) من سورة مريم {...إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} و(59) من سورة آل عمران {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} وكذلك عندما جاءت الملائكة زكريا (عليه الصلاة والسلام)، بالبشرى {... وَهُوَ قَانِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ*} (سورة آل عمران 39). وقد قالت كتب التفسير بأن المقصود، في هذه الآية، «بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» هو المسيح (عليه الصلاة والسلام). ونشير هنا إلى أن يحيى (عليه الصلاة والسلام)، هو نفسه يوحنا المعمدان.

روح من الله
{... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ...} (النساء 171)،
{وَأَلَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...} (الأنبياء
91)،

{وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ
رُوحِنَا ...} (التحریم 12)،

جاء في تفسير البضاوي: «هو روح صدر منه لا بتوسط ما
يجري مجرى الأصل والمادة له، وقيل سمي روحاً لأنه كان يحيي
الأموات أو القلوب».

أما في تفسير زاد المسير فيقول: «وفي معنى {وروح منه}
سبعة أقوال .

أحدها: أنه روح من أرواح الأبدان. قال أبي بن كعب: لما أخذ
الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحاً من تلك الأرواح،
فأرسله إلى مريم، فحملت به .

والثاني: أن الروح النفخ، فسمي روحاً، لأنه حدث عن نفخة
جبريل في درع مريم.

والثالث: أن معنى {وروح منه} إنسان حي باحياء الله له.

والرابع: أن الروح: الرحمة، فمعناه: ورحمة منه، ومثله
{وأيدهم بروح منه} [المجادلة: 22].

والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى
مريم، والذي ألقاها روح منه. ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان
الدمشقي .

والسادس: أنه سماه روحاً، لأنه يحيى به الناس كما يحيون
بالأرواح، ولهذا المعنى: سمي القرآن روحاً، ذكره القاضي أبو
يعلى .

والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: {ينزل الملائكة بالروح من أمره} [النحل: 2] أي: بالوحي، ذكره الثعلبي .

فأما قوله: «منه» فانه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} [الجاثية: 13].»

وجيه في الدنيا والآخرة

{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ*} (آل عمران 45)

يقول الطبري: «يعني بقوله «وجيها»: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة،»

وفي تفسير الجلالين: «(وجيهاً) ذا جاه في (الدنيا) بالنبوة وفي (الآخرة) بالشفاعة والدرجات العلا.»

والوجيه لغة: «سيد القوم ونو الجاه والوجاهة... والوجاهة، القدر والشرف» (راجع محيط المحيط لبطرس البستاني، باب وجه). وعندما نقول: فلان من وجهاء القوم، نكون بذلك، أيضاً، قد رفعناه في المقام درجات عن سائر أفراد القوم. أما أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحيهاً في الدنيا والآخرة فهذا تأكيد على سمو قدره وشرفه وعلو مقامه عن سائر البشر.

عَلَّمَ لِلسَّاعَةِ

{وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*} (الزخرف 61)،

يقول الطبري في تفسيره: «اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: وإنه وما المعنى بها، ومن ذكر ما هي، فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراتها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة.»

وفي تفسير زاد المسير يقول: «قوله تعالى: وإنه لعلم الساعة في هاء الكناية قولان :

أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى عليه السلام. ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: نزول عيسى من أشرط الساعة يعلم به قربها. وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي. والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن إسحاق .

والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن قاله الحسن وسعيد بن جبير. وقرأ الجمهور {لعلم} بكسر العين وتسكين اللام. وقرأ ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن وقتادة وحמיד وابن محيصن بفتحهما.

قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين فالمعنى: أنه يعلم به قرب الساعة ومن فتح العين واللام فإنه بمعنى العلامة والدليل.»

ومنذ نعومة أظفارنا ونحن نسمع، أن قبل يوم القيامة سيأتي رجل أعور يدعي أنه المسيح، عندها يعود المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى الأرض فيقتل ذلك الدجال ويجعل جميع الناس يعترفون بالإسلام، وبعد ذلك يكون يوم القيامة. لم يكن ذلك ما يقوله أصحاب مذهب واحد بل كانوا من أتباع مذاهب إسلامية متعددة.

هذا ما يدل على أن كثيرًا من المفسرين يجمعون على أن عودة المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى الأرض، هي إحدى علامات يوم القيامة أي «الساعة».

معصوم

في لسان العرب: «العصمة في كلام العرب: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يؤثقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه.» وأوبقه، تعني حبسه أو أهلكه.

وفي «محيط المحيط» يقول «بطرس البستاني» في باب «عصم»: «عصم «الله فلانا من المكروه حفظه ووقاه. ومعصوم، هو ذو عصمة» ويورد للعصمة عدة معانٍ منها: «والعصمة أيضاً المنع. قيل العصمة عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس. وفي التعريفات العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها.»

وإني أرى أن في القرآن الكريم ما يفيد بأن الله تعالى قد عصم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بالمعنيين السابقين.

ففي معنى الحماية، نقرأ: {وَمَكْرُواْ وَكَرَّ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ} * (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ... (55) { (آل عمران) ومن هاتين الآيتين نفهم أن الله تعالى قد حماه من مكر اليهود عندما أرادوا قتله، فرفعه إليه.

يقول الطبري في تفسير الآية (54): «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحسنّ منهم الكفر،» وفي الآية (55) يقول: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم

بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} فد«إذ» صلة من قوله: {وَمَكَرَ اللَّهُ} يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فتوفاه ورفعاه إليه.»

وقد جاء في تفسير ابن كثير للآية (36) من سورة آل عمران: «وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك، كما قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مسه إياه، إلا مريم وابنها». وهو يريد القول إن الله عز وجل، قد وقى المسيح من أذى الشيطان، والله أعلم.

وفي معنى الوقاية من ارتكاب المعاصي، فإننا لا نجد في القرآن الكريم آية واحدة تدل على أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد ارتكب ولو معصية واحدة.

فكيف يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، معصوماً من ارتكاب المعاصي، ويمكن لبعض جهابذة السينما في الولايات المتحدة الأميركية، أن يصوروه، في أحد الأفلام، وباسم حرية الرأي والتعبير، ذلك الشخص المتهتك؟؟؟ غفرانك يا رب، «ومسكينة أنت أيتها الحرية فكم من الجرائم ترتكب باسمك» في عصر الحضارة هذا!!!

طاهر

{إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...} {آل عمران 55}

و«طَهَّرَهُ جَعَلَهُ طَاهِرًا. والطَّهَارَةُ لُغَةٌ التَّنْزَهُ عَنِ الْأَدْنَسِ وَلَوْ
مَعْنَوِيًّا... وَالطُّهْرُ: تَقْيِيزُ النَّجَاسَةِ.» (محيط المحيط، باب طهر).
وفي تفسير (الطبري): «وَأَمَّا مَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَإِنَّهُ
يَعْنِي مَنْظَفَاكَ، فَمَخْلُصُكَ مِمَّنْ كَفَرَ بِكَ وَجَدَّ مَا جَنَّتْهُمْ بِهِ مِنَ
الْحَقِّ مِنَ الْيَهُودِ وَسَائِرِ الْمَلَلِ غَيْرِهَا.»

وأيضاً «الزكي: هو الطاهر من الذنوب» (راجع فقرة زكي).
وقد رأينا أن الطبري قال في تفسيره لمعنى كلمة المسيح في
الآية (172) من سورة النساء يقول: «وَأَصْلُ الْمَسِيحِ:
الْمَمْسُوحُ، صُرِفَ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَى فَعِيلٍ، وَسَمَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ
لِتَطْهِيرِهِ إِيَّاهُ مِنَ الذَّنُوبِ وَقِيلَ: مَسَحَ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْأَدْنَسِ الَّتِي
تَكُونُ فِي الْأَمْيَمِينَ، كَمَا يَمْسَحُ الشَّيْءُ مِنَ الْأَذَى الَّذِي يَكُونُ فِيهِ
فِيَطْهَرُ مِنْهُ.» (راجع الفصل الثاني)

بتول¹

لم يعط القرآن أية إشارة عن أن المسيح (عليه الصلاة والسلام) قد
تزوج أو كان له جارية، بينما نراه ينبئنا عن ذلك بالنسبة لغيره من
الأنبياء والمرسلين، فيحدثنا عن أزواج كل من آدم ونوح وإبراهيم
ولوط وموسى (عليه الصلاة والسلام)، وعن أولاد كل من صالح
وإسماعيل وإسحق ويعقوب وشعيب وأيوب وإلياس وداود وزكريا
(عليه الصلاة والسلام)، ولا ننسى طبعاً ما جاء عن زوجات رسوله
الكريم النبي محمد (ﷺ).

¹ البتول من النساء: المنقطعة عن الرجال. وقد استعرنا التعبير هنا للدلالة
على أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، كان منقطعاً عن النساء.

مثل

{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ *}
(الزخرف 59)

يقول تفسير زاد المسير: «{وجعلناه مثلاً} أي: آية وعبرة {لبنِي إِسْرَءِيلَ} يعرفون به قدرة الله على ما يريد إذ خلقه من غير أب.» وقد جاء ما يشابه ذلك في تفسير الطبري وتفسير البيضاوي وتفسير الجلالين.

صادق

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ آعَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا
لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ *} (116) ... قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*
(119){ (المائدة)

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا *} (7) لَيْسَ لَ
الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا *} (8){
(الأحزاب).

وهل من صفة يمكن لإنسان أن يتحلى بها، أسمى وأفضل
وأرفع من أن يكون صادقاً بين الناس؟ أما أن يطلق عليه رب
العالمين هذه الصفة فهذا يعني أن ذلك الإنسان لا يجوز أن يرقى
الشك إلى كلامه مطلقاً، فقد يكذب أحدهم ولا يكتشف الناس كذبه،
أما الله تعالى فلا يخفى عليه ذلك {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} (البقرة 77) {...وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (التوبة 42).

برّ

{وَبِرًّا بِالَّذِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا *} (مريم 32)،
يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «البرّ هو البارّ، يقال: هو
برّ بوالده، وبارّ به»،
وفي محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني: «برّ والده، أحسن
إليه ووصله».
والقرآن الكريم هنا يناقض بعض الروايات التي تقول بأن
المسيح (عليه الصلاة والسلام)، كان يترك أمه وحيدة ويهجرها أيّاماً أو
شهوراً متناسياً شؤون معيشتها.

رحمة للناس

{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا *} (مريم 21)
يقول الطبري: «ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصنّقه». وفي
تفسير البيضاوي: «{وَرَحْمَةً مِّنَّا} على العباد يهتدون بإرشاده».
كذلك يقول تفسير زاد المسير: «{ورحمة منا} أي: لمن تبعه
وآمن به».

وفي محيط المحيط يقول البستاني: «وذكر بعض المحققين أن
الرحمة من صفات الذات وهي إرادة إيصال الخير ودفع الشر...
وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة. وذكر الإمام الرازي أن
الرحمة لا تكون إلا لله لأن الجود هو إفادة ما ينبغي لا لغرض
وكل أحد غير الله إنما يعطي ليأخذ عوضاً».

فمن ممن الله تعالى على عباده أن أرسل المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لإيصال الخير لهم من عنده تعالى بالرسالة التي بعثه بها، ودفع الشر عنهم بإذنه جل جلاله، بالعفو عن آمن بتلك الرسالة.

أتاه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل
{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ*} (آل عمران 48)،

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَالِدَتِكَ... وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...}
(المائدة 110)

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} (مريم 30)،
{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ...} (الحديد 27)،

يقول الطبري في تفسيره للآية (48) من سورة آل عمران: «... فيعلمه الكتاب، وهو الخط الذي يخطه بيده، والحكمة: وهي السنة التي نوحياها إليه في غير كتاب، والتوراة: وهي التوراة التي أنزلت على موسى، كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل: إنجيل عيسى، ولم يكن قبله، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحى إليه، وإنما أخبرها بذلك، فسماه لها، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحى إليه كتابا اسمه الإنجيل، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي (ﷺ) الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلا، هو الولد الذي وهبه لها، وبشرها به.

«

أَيُّدِ اللَّهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ
 {... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...}
 (البقرة 87)،
 {... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...}
 (البقرة 253)،

{إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ
 إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...} (المائدة 110)،

جاء في تفسير الطبري للآية (87) من سورة البقرة: «أما معنى قوله: وَأَيَّدْنَاهُ فَإِنَّهُ قَوَّيْنَاهُ فَأَعْنَاهُ، ثم اختلف في تأويل قوله: رُوحُ الْقُدُسِ... فقال بعضهم: روح القدس الذي أخبر الله تعالى نكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه السلام... وقال آخرون: الروح الذي أيد الله به عيسى هو الإنجيل... وقال آخرون: هو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به.»

وقد اتفق مع الطبري في أن «الروح القدس» هو جبريل، كل من ابن كثير و الجلالين والبيضاوي.

قدوة للنبي محمد (ﷺ)

{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ* (85)
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْهُ...} (90) { (الأنعام)،
 في هذه الآية، يخاطب الله عز وجل، محمداً (ﷺ)، وبعد أن يعدد له في الآيات، التي سبقتها من (83) إلى (89) أسماء أنبياء بعثوا قبله ومنهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، يقول له: فبهدهم اقتد يا محمد (ﷺ).

وقد جاء في تفسير الطبري: «ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل: اتباع أثره والأخذ بهديه، يقال: فلان يقود فلانا إذا نحا نحوه واتبع أثره، قَدَّه وقُدَّوه وقُدَّوه وقُدَّوه.»

بشر بالنبي محمد (ﷺ)

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...} (الصف 6)،

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين.» وهذا ما قالته جميع كتب التفسير التي اطلعت عليها.

مثله كمثل آدم (عليه الصلاة والسلام)

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* (59)} (آل عمران 59)،

يقول تفسير الطبري: «فتأويل الكلام إذا: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن؛ واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن، فهو كائن. فلما كان في قوله: {كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ} دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبي الله ﷺ وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: فيكون، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى. وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كائن.»

ويقول البيضاوي في تفسيره: «إِنَّ مَثَلْ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ { إِنْ شَأْنَهُ الْغَرِيبُ كَشَأْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ. {خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ} جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم، شبه حاله بما هو أغرب منه إفحامًا للخصم وقطعًا لمواد الشبهة والمعنى خلق قلبه من التراب.»

وفي رأيي، إِنَّ في هذا أيضًا، تأكيدًا لقوله تعالى {...وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ...}. (مريم 21) وهل يبقى أي شك في أن الله، علت قدرته، الذي خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)، من غير أب أو أم، من الصعب عليه أن يخلق عيسى (عليه الصلاة والسلام)، من أم ومن دون أب؟ وهو خالق الأكوان كلها من العدم؟

مصدق للتوراة

{وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ} (آل عمران 50)،
{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (المائدة 46)،
{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ ...} (الصف رقم 6)

يقول الطبري في تفسيره للآية (46) من سورة المائدة: «فبعثناه نبيا مصدقا لكتابتنا الذي أنزلناه إلى موسى من قبله أنه حق وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرض واجب. وآتيناه الإنجيل يقول: وأنزلنا إليه كتابنا الذي اسمه الإنجيل. فيه هدى ونور يقول: في الإنجيل هدى، وهو بيان ما جهله الناس من حكم الله في زمانه، ونور يقول: وضياء من عمي الجهالة، ومصدقًا لما بين يديه يقول: أوحينا إليه ذلك، وأنزلناه إليه

بتصديق ما كان قبله من كتب الله التي كان أنزلها على كل أمة
أنزل إلى نبيها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم في ذلك
الكتاب».

الفصل الرابع المسيح (عليه الصلاة والسلام) آية للناس

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:
{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا*} (مريم 21)،
{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ*} (الأنبياء 91)
{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ*} (المؤمنون 50)

والآية في لغة القرآن الكريم هنا، وكما قال المفسرون، هي
«علامة على قدرة الله عز وجل». وقدرة الله ليس لها حدود، {...
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*} (المائدة 17) {... بَدِيعُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*}
(البقرة 117). ولما رأى، تعالى، اليهود ينحرفون عن تعاليم
التوراة التي أنزلها على موسى (عليه الصلاة والسلام)، أرسل إليهم
المسيح (عليه الصلاة والسلام). وكل رسول بعثه للأنام، كان الله تعالى،
يخصه بمعجزات (آيات) يدعم بها رسالته {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ...}. (الحديد 25) و {... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...}. (غافر 78) و {... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...}. (الرعد 38) فكان المسيح (عليه الصلاة والسلام)، كما
أراد الله تعالى، آية في ميلاده وفي حدثته وفي حياته وفي
شخصه وفي آخرته.

آية في ميلاده

لقد شبه الله تعالى خلقه المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بخلق آدم (عليه الصلاة والسلام)، بقوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} (آل عمران 59). وقد خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)، من تراب من غير أب أو أم، وهذا آية عظمى، وخلق المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أم عذراء بتول ومن دون أب، {قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا*} (مريم 20) وكان تكوينه وميلاده، في الغالب، في ساعات معدودات قد لا تزيد في مجموعها عن اليوم الواحد أو اليومين؛ كما أطعم الله مريم (عليها السلام) رطباً في الشتاء ومن نخلة يابسة وسقاها من نهر كان جافاً، {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا* وَهَرَوَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا...} (مريم 24-26) ومن ثم جعل المولود يكلم أمه ليطمئنها، {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي...} (مريم 24)، ويكلم الناس ليبرئ أمه، وينطق بكلام الأنبياء وهو في المهد ولم يمض على ميلاده ساعات قليلة {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا*} (مريم 30-31). ألا يكفي ذلك كله ليكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في ميلاده آية عظمى تشابه آية خلق آدم (عليه الصلاة والسلام)؟

آية في حادثته

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ*} (المؤمنون 50)

أرجو من القارئ الكريم أن يعود إلى الفصل الثاني من هذا الكتاب، فقد أوضحت فيه بشيء من الإسهاب، ما قاله المفسرون

في هذه الآية، وفي وصف تلك الربوة بحيث قاربت أن تكون قطعة من الجنة على الأرض. ففيها الماء والخصب والاستقرار الذي يؤدي إلى الاطمئنان. وهل في هذه الدنيا أفضل من أن يكون الإنسان مطمئناً؟ فالأطمئنان، في نظري، هو ما يقود إلى السعادة. وأنى أراه من أهم صفات الحياة في الجنة التي وعد بها رب العالمين عباده الصالحين.

آية في حياته وفي شخصه

رأينا في الفصل السابق أن القرآن الكريم لم يشر إلى أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد اقتترف ولو خطيئة واحدة في حياته، لأن الله تعالى قد وقاه من أذى الشيطان ومن ارتكاب المعاصي. كما رأينا، أيضاً، أن أحد الآراء في تسميته بالمسيح هو أنه: «مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الأدميين».

أضف إلى ذلك، أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يطلب من الله تعالى، أمراً جر عليه توبيخاً أو ملامة منه جل جلاله، كما حصل قبله، مثلاً، لكل من نوح وإبراهيم وموسى (عليهم الصلاة والسلام). إذ لما بدأ الطوفان، ولم يصعد ابنه إلى الفلك على رغم مناشدته له، نادى نوح (عليه الصلاة والسلام)، ربه طالباً العون لابنه، فوبخه تعالى قائلاً: إن طلبك عمل غير صالح فلا تطلب ما ليس لك به علم فتكونن من الجاهلين، عندها استدرك نوح (عليه الصلاة والسلام)، خطأه بطلب الغفران من الله تعالى. {قَالَ نُوحٌ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ*} (هود 46-47).

ثم إن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فجاءه منه تعالى سؤال، أرى فيه توبيخاً ولامة، إذ

قد يكون في طلب كهذا بعض من ضعف الإيمان أو التشكيك في قدرة الله تعالى. {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ...} (البقرة 260)

أما موسى (عليه الصلاة والسلام)، فقد طلب من الله عز وجل، أكثر من ذلك، بسؤاله رؤية رب العالمين، فرد عليه تعالى بأنه ليس فقط لن يراه بل أراه آية جعلته يخر مصعوقاً ولما أفاق أعلن التوبة والإيمان بالله وبقدرته عز وجل. {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ*}. (الأعراف 143)

وهل في الدنيا إنسان واحد، غير عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يقترف في حياته كلها خطيئة واحدة؟ أو حتى لم يأت بأمر واحد جلب له التوبيخ أو اللوم من الله تعالى؟ فألا يكفيننا هذا كي نقول بأنه كان آية في شخصه وفي حياته؟

آية في آخرته

لما استقر رأي آل إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، على أن يحرقوه نجاه الله تعالى بأن جعل النار برداً وسلاماً عليه، {فَقُنَّا نَارًا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ*} (الأنبياء 69).

ولما تأمر القوم على قتل موسى (عليه الصلاة والسلام)، بعث الله، (علت قدرته) إليه رجلاً بنبئه بالأمر وينصح له بالخروج من المدينة، {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّ أَلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} (القصص 20)، فهجر مدينته وتوجه إلى مدين، وبذلك نجاه الله تعالى من القتل.

أما المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فلما تأمر اليهود على قتله رفعه الله تعالى إليه، {وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ* إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...} (آل عمران 54-55). كان بوسعه تعالى، أن ينجيه من تلك المؤامرة بأي وسيلة شاء، وهو على كل شيء قدير، ولكنه أراد أن يرى الناس تمام تلك الآية التي أرادها في خلقه المسيح (عليه الصلاة والسلام)، {...وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ...} (مريم 21).

الفصل الخامس

معجزات المسيح (عليه الصلاة والسلام)

منذ بدء الخليقة، وفيما عدا القرآن الكريم، لم تكن تعاليم الرسل والأنبياء تدون، بل كانت تحفظ في ذاكرة الشعوب وتنتقل من جيل إلى جيل من الفم إلى الأذن. وكلما رأى الله تعالى، انحرافاً أو تغييراً في تلك التعاليم كان يبعث لهم رسولاً أو نبياً للعودة بتلك التعاليم ومفاهيمها إلى السبيل القويم وتصحيح الأخطاء وتعديل أو نسخ¹ بعض التعاليم وإضافة تعاليم جديدة. وكى يصدق الناس أولئك الرسل ويؤمنوا بما جاؤوهم به بأنه من عند الله، كان تعالى يميزهم عن سائر البشر بالإتيان بما يعجز عنه أي من معاصريهم وبما يناسب ذلك العصر. ففي زمن موسى (عليه الصلاة والسلام)، كان الغالب تعظيم السحر والسحرة فمكنه الله تعالى، من القيام بما لا يقدرون عليه. أما زمن عيسى (عليه الصلاة والسلام)، فكان زمن الأطباء وعلماء الطبيعة، فأعطاه الله تعالى القدرة على القيام بما يعجز عنه هؤلاء.

تلك المعجزات تسمى في القرآن الكريم بالبينات أو الآيات. {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ...} (الحديد 25) و{... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...} (غافر 78) و{... وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...} (الرعد 38). وبيِّنَات جمع بَيِّنَةٌ. والبينة لغة هي الدليل والحجة (محيط المحيط للبستاني باب بان)، وهي هنا بمعنى المعجزة، كما قال ابن كثير في تفسيره للآية 87 من سورة البقرة:

¹ النَّسْخ : إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه.

«حتى ختم (الله تعالى) أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات وهي المعجزات...»

ولم يكن حظ عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في ذلك بأقل ممن سبقه من الأنبياء والرسل. { ... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ... } (البقرة 87).

{ ... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ... } (البقرة 253). { ... أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... } (آل عمران 49) { ... وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * } (آل عمران 50) { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ ... } (الزخرف 63) { ... فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (الصف 6)

وقد بين القرآن الكريم المعجزات التي جاءت على يد السيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، في كل من الآيتين (46) و(49) من سورة آل عمران، والآيات (من 110 إلى 115) من سورة المائدة، والآيات (من 24 إلى 33) من سورة مريم، وهي: الكلام في المهد وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والمائدة وإنباء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، كل ذلك طبعاً بإذن الله تعالى.

كلم الناس في المهد

المهد في اللغة هو موضع نوم الطفل حديث المولد أو الرضيع، ويقول لسان العرب في باب مهد: «المَهْدُ: مَهْدُ الصَّبِيِّ. وَمَهْدُ الصَّبِيِّ: موضعه الذي يُهَيَّأُ له وَيُوطَأُ لِينَامَ فِيهِ». والمقصود في قوله { ... وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ... }، أنه يكلم الناس وهو رضيعاً حديث الولادة، وليس من الضروري أن يكون مضطجعاً في مهده. وإنني أفهم من الآيات رقم (24) وما يليها من سورة مريم، أن

عيسى (عليه الصلاة والسلام)، قد تكلم مرتين وهو لم يزل رضيعاً حديث المولد:

الأولى كانت فور ميلاده ليطمئن والدته، {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا*} ففي تفسيره لهذه الآية، يقول الطبري: «اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأول منهم إذا قرأه مِنْ تَحْتِهَا كذلك ومن متأول منهم أنه عيسى، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة: «فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا» بفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه.»

وإني أرى أن الذي ناداها من تحتها هو عيسى (عليه الصلاة والسلام)، فور ميلاده. وما يجعلني أنحو إلى هذا الرأي هو التالي:

بعد أن هدأ روعها بقوله لها أَلَّا تَحْزَنِي وَأَنْ تَقَرَّ عَيْنَا {...أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا*} (24) وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا*} (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...}، طلب منها أن تقول لمن تراه من البشر، إنها نذرت للرحمن صوماً فلن تكلم في ذلك اليوم إنسياً، {...فَأَمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا*} (26) { (مريم).

وعندما جاءت قومها تحملها، وقالوا لها بأنها جاءت أمراً عظيماً منكرًا، لم تنطق بكلمة واحدة، بل أشارت إلى المولود، {... قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا*} (27) يَاخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا*} (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا*} (29) { (مريم).

فلو لم تكن قد تأكدت من أن المولود هو الذي كلمها فور الولادة، لما أشارت إليه، بل كانت أوحى إليهم كما فعل زكريا (عليه الصلاة

والسلام)، بأن خاطب قومه بالإحياء، {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)} (مريم) والمرة الثانية كانت لما جاءت به (عليها السلام) قومها، ولم يكن قد مضى على ميلاده سوى ساعات قليلة، فتكلم كلام الأنبياء إذ {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا * (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33)} (مريم). وقد جاء كلامه هذا ليدفع عن والدته تلك التهم التي حاول اليهود أن يقذفوها بها بهتاناً عظيماً. {وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * (النساء 156)}.

فالتكلم في المهد كان إذًا، أول معجزة جاء بها عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام).

خلق الطير من الطين

أخبرنا القرآن الكريم عن هذه المعجزة في الآيتين: (49) من سورة آل عمران {... أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ...} و (110) من سورة المائدة {... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي...}،

في اللغة، «خلق الشيء، أوجده وأبدعه على غير مثال سبق». (محيط المحيط للبستاني). وكذلك في لسان العرب «الخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه».

جاء في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»¹ في تفسير الآية (49) من سورة آل عمران:

«أخرج ابن جرير عن ابن إسحق أن عيسى جلس يوماً مع غلمان من الكتاب، فأخذ طينا ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا؟ قالوا: أو تستطيع ذلك؟ قال: نعم. بإذن ربي. ثم هبأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال: كن طائرا بإذن الله فخرج يطير من بين كفيه، وخرج الغلمان بذلك من أمره، فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس .

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج. أن عيسى قال: أي الطير أشد خلقا؟ قال: الخفاش إنما هو لحم ففعل.
وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: إنما خلق عيسى طيرا واحدا. وهو الخفاش. »

ومهما قال المفسرون عن كيفية خلق ذلك الطير أو عن نوعه فما يهمننا هنا هو أن القرآن الكريم أثبت أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد خلق من الطين كهية طير ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله عز وجل.

شفاء الأكمه

في اللغة: «الأُكْمَه نَو الكَمَه، والكمه العمى يولد به الإنسان» (قاموس المحيط للفيروزابادي - باب كمه). وقد ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة في الآيتين (49) من سورة آل عمران: {... وَأَبْرَىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ...} و(110) من سورة المائدة: {... وَثَبَّرِءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...}،

¹ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخضيرى السيوطى، جلال الدين.

ويقول الطبري في تفسيره للآية (49) من سورة آل عمران: «واختلف أهل التأويل في معنى الأكمه، فقال بعضهم: هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار... وقال آخرون: هو الأعمى الذي ولدته أمه كذلك... وقال آخرون: بل هو الأعمى...» إلى أن ينتهي به القول:

«هو الأعمى الذي لا يبصر شيئاً لا ليلاً ولا نهاراً، وهو بما قال قتادة: من أنه المولود كذلك أشبه، لأن علاج مثل ذلك لا يدّعيه أحد من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى، وكذلك علاج الأبرص.»

وبصرف النظر عما إذا كان الأكمه هو من ولد أعمى أو من أصيب بالعمى بعد أن كان مبصراً، فإن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بشفائه الأعمى، بإذنه تعالى، منذ ما يقارب الألفي سنة، يكون قد جاء بمعجزة عظيمة. إذ حتى يومنا هذا، وعلى رغم هذا التقدم العظيم الذي نشهده في حقول الطب عامة، وفي طب العيون خاصة، فلم يزل شفاء الأعمى من الصعوبة في مكان إذا لم نقل من المستحيلات إلا في حالات نادرة أو بالجراحة بزرع القرنية، إذا كانت هي السبب.

شفاء الأبرص

الأبرص هو من أصيب بالبرص. «والبرص، بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج ويغور ويعرف الأسود منه بالقوباء وهو من مقدمات الجذام. والجذام، علة ردية تنتشر في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء هبئتها. وتحدث عجزاً في الوجه غالباً ويتمرط شعر الأجناف وينتهي إلى تآكل الأعضاء وسقوطها من شدة التقرح. ويقال لهذه العلة داء الأسد لهجومها على صاحبها كما

يهجم الأسد على الفريسة. وفي الحديث أهرّب من المجنوم هربك من الأفعى.» (محيط المحيط - باب برص وباب جذم).
ويقول الطبري بأن علاج الأبرص كعلاج الأعمى، «لا يدعيه أحد من البشر.»

وقد جاء ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم في الآيتين (49) من سورة آل عمران و(110) من سورة المائدة.
{... وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ...}
(من الآية رقم 49)

{... وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ...}
(من الآية رقم 110)

يقول ابن كثير في تفسيره للآية رقم (49) من سورة آل عمران: «وأما عيسى عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد.»

ويضيف معظم المفسرين أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، لم يقتصر إبرأؤه على الأكمه والأبرص فقط، بل هو أبرأ، بالدعاء إلى الله تعالى، كثيراً من المرضى. ومنهم من قال إنه أحياناً كان يجتمع عليه «خمسون ألفاً». والله أعلم.

إحياء الموتى

وقد جاء ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم في الآيتين (49) من سورة آل عمران و(110) من سورة المائدة.
{... وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ...} و(110)
من سورة المائدة. {... وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...}

يقول الطبري في تفسيره للآية (49) من سورة آل عمران: «وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له.»

وعلى رغم أن القرآن الكريم لا يشير إلى عدد أو شخصيات أولئك الموتى الذين أحياهم المسيح (عليه الصلاة والسلام) بمشيئته تعالى، فقد استرسل الألوسي في تفسيره هذه الآية قائلاً:

«قد أحيا عليه السلام أربعة أنفس، عازر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك عازر مات وكان بينه وبين عازر مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته: انطقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره فدعا الله تعالى عيسى فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره، وبقي زماناً وولد له. وأما ابن العجوز فمر به ميتاً على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريرته ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي زماناً وولد له، وأما ابنة العاشر¹ فكان أبوها رجلاً يأخذ العشور ماتت له بنت الأمس فدعا الله تعالى وأحياها وبقيت زماناً وولدها. وأما سام بن نوح فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعى باسم الله تعالى الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال: أقد قامت الساعة؟ / قال: لا ولكن دعوتك باسم الله تعالى الأعظم ثم قال له: مت قال: بشرط أن يعيذني الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى له ففعل، وفي بعض الآثار أن إحياءه ساماً كان بعد قولهم له عليه السلام إنك تحيي من كان

¹ العاشر: هو من يجمع العشور، والعشور هو ما كانت الملوك تأخذه من أموال الرعية.

قريب العهد من الموت ولعلمهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحيى لنا سام بن نوح فأحياه وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم: صدقوه فإنني نبي فأمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا: هذا سحر فأرنا آية فنباهم بما يأكلون وما يدخرون، وقد ورد أيضًا أنه عليه السلام أحيا ابن ملك ليستخلفه في قصة طويلة، وأحيا خشفًا وشاة وبقرة؛ ولفظ {أَلْمَوْتَى} يعم كل ذلك. »

وفي رأيي ليس مهمًا لا العدد ولا الشخصيات، إنما هذه المعجزة في حد ذاتها فالعلماء قاطبة يقرون بأن إحياء الموتى هو مستحيل عليهم، على رغم كل ما توصلوا إليه من اكتشافات علمية وتطوير للأدوية ووسائل الجراحة في جميع حقول الطب. وبالتالي فأحياء الموتى يبقى معجزة الدهور إذ هو مما يعود لمشئنة الله تعالى وقدرته وحده. ولولا إرادته عز وجل، لما عاد إلى الحياة، على يد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، أي من أولئك الموتى.

التنبؤ بالأكل والادخار

{... وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران 49)

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «فإن قال قائل: وما كان في قوله لهم: {وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: 49] من الحجة له على صدقه، وقد رأينا المتنجم والمتكهن تخبر بذلك كثيرا فتصيب؟ قيل: إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه، ومن سائر أنبياء الله ورسله، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال، ولكن ابتداءً باعلام الله إياه من غير أصل تقدم ذلك؛

احتذاه، أو بنى عليه أو فزرع إليه، كما يفرع المتنجم إلى حسابه، والمتكهن إلى رئيّه، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها، وبين علم سائر المتكذبة على الله، أو المدعية علم ذلك. »

وفي ذلك يقول ابن كثير: «أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر في بيته لغد،»

أما الثعالبي فيقول: «كان عيسى - عليه السلام - من لذن طفولتيه، وهو في الكتاب، يخبر الصبيان بما يفعل أبواهم في منازلهم، وبما يؤكل من الطعام، ويُدخّر، وكذلك إلى أن نُبئى، فكان يقول لكلّ من سأله عن هذا المعنى: أَكَلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا، وَأَدَخَرْتُ كَذَا،»

فهذه المعجزة، على رغم أهميتها، تبقى هينة بالقياس على ما جاء به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، بإذن الله العليّ القدير.

المائدة

إن السورة رقم (5) من سور القرآن الكريم سميت «المائدة» لأن قصة هذه المعجزة وردت في الآيات التالية منها:

{إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ¹ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَعَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* (114) قَالَ

¹ أصحاب عيسى (عليه الصلاة والسلام).

اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ* (115){

تقول هذ الآيات إن الحواريين سألوا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إذا كان الله تعالى يستطيع أن ينزل عليهم من السماء مائدة. فقال لهم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، لأن المؤمن لا يشكك في قدرات ربه. فأجابوه بأنهم يريدون أن يأكلوا منها ليتأكدوا من صدقه. عندها طلب من الله عز وجل، أن ينزل عليهم مائدة تكون عيداً لأولهم وآخرهم وآية منه تعالى. فأجابه تعالى على طلبه متوعداً بالعذاب الشديد كل من يكفر منهم بعد ذلك. وفي ذلك يقول الثعالبي في تفسيره:

«ثم شَرَطَ عليهم سبحانه شَرْطَهُ المتعارَفَ في الأمم؛ أنه مَنْ كَفَرَ بعد آية الاقتراح، عُذِّبَ أَشَدَّ عَذَابٍ، والجمهور أَنَّ المائدة نَزَلَتْ كما أخبر الله سبحانه، واختلفوا في كَيْفِيَّةِ ذلك، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: نَزَلَتْ المائدة خُبْرًا وَسَمَكًا، وقال عطية: المائدة سَمَكَةٌ فيها طَعْمُ كُلِّ طَعَامٍ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَ خُورَانٌ عليه خُبْزٌ وَسَمَكٌ يأكلون منه أينما نَزَلُوا، إذا شاءوا، وقال عَمَّار بن ياسر: سألوا عيسى مائدة يكون عليها طَعَامٌ لا يَنْقُذُ، ف قيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تُخَيِّبُوا، أو تخوُّنُوا، فإن فعلتم، عُذِّبْتُمْ،...»

الفصل السادس

ما خص الله تعالى به المسيح (عليه الصلاة والسلام)،
من دون باقي الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام)

يستنتج من آيات القرآن الكريم أن الله تعالى قد خصّ رسوله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم (عليه الصلاة والسلام)، بأمر و صفات، لم يخض بها باقي الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام). فالمسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحده ولد من أم عذراء ومن دون أب وفي مدة وجيزة جداً، ووحده ولد نبياً، ووحده تكلم في المهد، ووحده كلمة الله تعالى وروح ورحمة منه، ووحده عصمه الله من الوقوع في الخطأ، وطهره، وأيده بروح القدس، وجعله آية للعالمين.

في ميلاده

رأينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب، كيف خلق الله تعالى، المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أم عذراء ومن دون أب، وكيف حملته أمه مريم (عليها السلام)، بالنفخ من روحه علت قدرته، وولدت في وقت قصير جداً قد لا يتعدى اليومين. وهذا الأمر لم نقرأ أو نسمع بمثله عن أي نبي أو رسول أو إنسان آخر، لا في القرآن الكريم ولا في أي كتاب آخر.

ورب قائل: إن في عمليات الاستنساخ، التي توصل إليها العلماء في عصرنا الحالي، ما قد يشبه عملية تكوين الجنين في رحم أمه من غير أب. هنا نسأل: كيف تتم عملية الاستنساخ؟ إن مبدأ تلك العملية هو في أخذ جزء من الحمض النووي من خلية من جسد حيوان أو إنسان ثم يزرع في بويضة غير مخصبة، في جسد أنثى حيث تبقى المدة الطبيعية لاكتمال الجنين وحتى موعد الولادة

الطبيعي حسب النوع. فهذه العملية إذاً تتم باتحاد الحمض النووي المسحوب من خلية ببويضة والاثنتان مأخوذان من جسدين مخلوقين أصلاً حسب قوانين الخلق. وهي بالتالي من نتائج اكتشاف العلماء لأسرار الخلق وقوانينه التي وضعها الله عز وجل.

وحده ولد نبيا

المقصود هنا أن الله تعالى، بعث المسيح (عليه الصلاة والسلام)، نبياً منذ اللحظة الأولى لميلاده، بينما لم نقرأ في القرآن الكريم أن هذا حصل لأي نبي أو رسول غيره. فلو عدنا إلى الفصل الخامس من هذا الكتاب، لرأينا أن الكلام الذي نطق به المسيح (عليه الصلاة والسلام)، فور ميلاده، كان كلام أنبياء. ففي سورة مريم نقرأ كلامه (عليه الصلاة والسلام)، لأمه مريم (عليها السلام)، فور ميلاده، مهدداً روعها: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * (24) وَهَرَوْنِي إِلَيْكَ بِجُنْعِ اللَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * (25) فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * (26)}. كما نقرأ كلامه لتبرئة أمه (عليها السلام)، أمام قومها، بقوله لهم: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * (33)}. وفي هذين القولين يظهر واضحاً أنه كلام أوحاه الله تعالى إليه كي يطمئن قلب مريم (عليها السلام)، ويبلغها أمره عز وجل، لها (عليها السلام)، بالصوم؛ وليدفع عنها أيضاً، تهمة ارتكاب الفاحشة، مختتماً كلامه بأن الله تعالى، جعله نبياً، إذ قال: {... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ

وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * (31){. ألا يكفي هذا أن يكون من علامات النبوة؟

وحده كلم الناس في المهد

رأينا في الفصل الخامس أن القرآن الكريم يخبرنا كيف تكلم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وكان لم يزل حديث المولد، بل لم يكد يولد من بطن أمه مريم (عليها السلام)، حتى نطق بكلام، على مسامعها أولاً، هدأ به روعها، ثم على مسامع قومها، ثانية، لتبرئتها.

هذا ولا نجد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن أي نبي أو رسول، قد كلم الناس وهو لم يزل في المهد، أي لم يكن بعد قد مضى على مولده ساعات معدودات. وهذا مما خصّ به الله تعالى، نبيه ورسوله الكريم عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من دون سائر الأنبياء والرسل (عليه الصلاة والسلام)، الذين ذكروا في القرآن الكريم.

كلمة الله

أوضحنا في الفصل الثالث، أن المقصود «بكلمة الله»، هو أن الله تعالى خلق المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بكلمة {كن} ألّقاها إلى مريم (عليها السلام). وفي خلقه بكلمة {كن}، يشترك المسيح وآدم (عليهما الصلاة والسلام)، حسب قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*} (آل عمران 59). وفي الآية (171) من سورة النساء يقول تعالى: {... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...}. فهذه الآية تقول: «كَلِمَتُهُ»، بينما تقول الآية (45) من سورة آل عمران: «بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ». أفلا يجوز أن يكون القصد من وراء اعتماد عبارة: «كَلِمَتُهُ»، بدلاً من: «كَلِمَةٍ مِّنْهُ» هو

تخصيص المسيح (عليه الصلاة والسلام) بأنه وحده «كلمة الله»؟ خاصة وأنها لا نجد في القرآن الكريم مثل هذا الوصف يطلق على أي من باقي الأنبياء والرسل بمن فيهم آدم (عليه الصلاة والسلام).

روح من الله

وفي الفصل الثالث رأينا أيضاً أن القرآن الكريم يطلق على المسيح (عليه الصلاة والسلام) صفة: «روح من الله» كما أوردنا ما قاله المفسرون حول المقصود بهذه الصفة. وكما اشترك المسيح وآدم (عليهما الصلاة والسلام)، في كونهما خلقا بكلمة {كُنْ} كذلك اشتركا في أن عملية خلقهما تمت بالنفخ من روح الله العلي القدير. أما باقي الأنبياء والرسل الذين ذكرهم القرآن الكريم فلم يطلق على أحد منهم هذه الصفة حتى على آدم (عليه الصلاة والسلام)، {... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...} (النساء 171)، وبالتالي يبقى المسيح (عليه الصلاة والسلام) وحده الذي خصه الله تعالى بصفة «روح من الله».

عصمته

قلنا سابقاً: إن الله تعالى عصم المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بمعنيين للعصمة، إذ حماه ووقاه من مكر اليهود الذين أرادوا به السوء، ومكنه من اجتناب المعاصي. أما العصمة المقصودة هنا فهي بمعنى: «ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها» (راجع محيط المحيط للبستاني). وقد رأينا أن القرآن الكريم لم يشير في أي من آياته إلى أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد اقترف خطيئة واحدة في حياته أو حتى أنه طلب من الله تعالى أمراً جرّ عليه توبيخاً أو ملامة منه جل جلاله. كما لم تقرأ أية واحدة يأمر الله تعالى فيها المسيح (عليه الصلاة والسلام) بطلب المغفرة.

نحن نعلم أن القرآن الكريم قد ذكر من الأنبياء والرسل خمساً وعشرين، أولهم آدم (عليه الصلاة والسلام)، وآخرهم محمد (ﷺ)، من أولئك الأنبياء والرسل من حدثنا الآيات عن حياتهم وتعاليمهم بشيء من الإطناب، ومنهم من اقتصر على ذكر الجزء اليسير من حياتهم أو تعاليمهم، ومنهم من اكتفت بذكر أسمائهم. ولو استعرضنا باختصار، تلك الآيات التي تحدثت ببعض التوسع عن بعض الأنبياء، لرأينا أن كلاً من هؤلاء قد طلب الغفران أو التوبة إلى الله أو أنه تعالى قد أمره بطلب الغفران. ولا يستغفر ربه أو يتوب إليه تعالى، إلا من كان قد ارتكب خطيئة أو معصية.

فآدم (عليه الصلاة والسلام)، أول خلق الله عز وجل، قال له تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}. (البقرة 35) فعصى ربه لما وسوس له الشيطان: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}. (البقرة 36). فآلهمه تعالى، كلمات دعا بها فتاب عليه: {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}. (البقرة 37) {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. (الأعراف 23).

ونوح (عليه الصلاة والسلام)، لما ركب الفلك هو ومن معه، نادى ابنه ليركب معهم فلم يستجب الابن لنداء أبيه، وكان الطوفان قد بدأ، نادى نوح (عليه الصلاة والسلام)، ربه لينجي ابنه، فأثبته تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (45) قَالَ يُنوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ

فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ}. (هود 46) فطلب الغفران من الله عز وجل في الآيتين:
{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي
وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. (هود 47). {وَرَبِّ أَعْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}. (نوح 28)

وإبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، سأل ربه أن يتوب عليه وعلى ابنه
إسماعيل (عليهما الصلاة والسلام): {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا
أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.
(البقرة 128). كما طلب الغفران منه تعالى {رَبَّنَا أَعْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}. (إبراهيم 41).

ومنهم من يقول إن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، لم يقل الصدق لما
سأله قومه عمن حطم الأصنام التي كانوا يعبدونها، إذ قال إن كبير
تلك الأصنام هو الذي فعل ذلك، بينما كان من حطمها فعلاً هو
إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، وعلى رغم أن في ذلك كذبة بيضاء، كما
يقولون، إلا أن الأنبياء لا يجوز أن تنطق إلا بالصدق مهما كانت
الغاية. {قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} (63) (الأنبياء).

أما يعقوب (عليه الصلاة والسلام)، فقد كان يفضل ابنه يوسف (عليه
الصلاة والسلام)، وشقيقه على سائر أولاده: {قَالَ يُبْنِي لَا تَقْصُصْ
رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ
مُبِينٌ}. (يوسف 5) {إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا
وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}. (يوسف 8)

ويوسف (عليه الصلاة والسلام)، لو لم يصرف عنه الله تعالى ذلك
الشعور بالغريزة الجنسية لكان ارتكب الفاحشة مع امرأة عزيز

مصر: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. (يوسف 24). وبالإضافة إلى أنه أخفى حقيقته عن إخوته، فقد لفق لشقيقه تهمة سرقة صواع الملك كي يبقيه عنده؛ وذلك مما لا يجوز أيضاً، لنبي أن يفعل مهماً كانت غايته في ذلك: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ انْتَحِمُوا لِسَارِقُونَ}. (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَادًّا تَفْقَدُونَ. (71) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. (72) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. (73) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}. (يوسف 75)

وأيوب (عليه الصلاة والسلام)، قال عنه تعالى إنه تائب: {... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}. (ص 44) في اللغة كما في محيط المحيط للبستاني: «الأواب التائب فإنه كان للأوابين غفوراً». ويقول الأمير أمين آل ناصر الدين في كتابه «دقائق العربية» (صفحة 51): «من يتب طاعة الله لا خانقاً من عقاب ولا طامعاً في ثواب فهو صاحب أوبة، وفي الآية الكريمة (نعم العبد إنه أواب) يعني أيوب.»

ويونس (عليه الصلاة والسلام)، أعلن صراحة أنه كان من المخطئين: {وَذَا النُّونِ¹ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}. (الأنبياء 87) يقول الجلالان في تفسيرهما: «نكر {ذَا النُّونِ}

¹ لقب يونس.

صاحب الحوت وهو يونس بن متى.» وكلمة ظالم تأتي في القرآن الكريم بمعنى: الكافر أو المشرك أو المقصر في العمل أو العاصي أو ولي الكافر... وكل ذلك من المحرمات والنواهي حسب القرآن الكريم.

وشعيب (عليه الصلاة والسلام)، أعلن التوبة: {... إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}. (هود 88) يقول بطرس البستاني في محيط المحيط: «أُنَابَ إِلَيْهِ رَجَع مرة بعد مرة. وإلى الله تعالى أَقْبَلَ وَتَاب.» ويقول الأمير أمين آل ناصر الدين في كتابه (دقائق العربية) (ص. 51): «مَنْ يَتَبَ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ فَهُوَ صَاحِبُ إِنْابَةٍ.»

وهذا موسى (عليه الصلاة والسلام)، يطلب الغفران منه تعالى، له ولأخيه هارون (عليهما الصلاة والسلام)، إِذْ {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}. (الأعراف 151). إضف إلى أنه كان قد قتل رجلاً، قبل بدء بعثته كما تخبرنا بذلك الآيتان التاليتان: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غُفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}. (16) (القصص). وقد اعترف (عليه الصلاة والسلام)، صراحة بذلك كما تقول الآيتان: {وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}. (20) (الشعراء 19)

وداود (عليه الصلاة والسلام)، يقول المفسرون إنه «كان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها.» (كما في تفسير الجلالين للآية 21 من سورة ص) فبعث الله تعالى له ملكين بصورة خصمين يطلبان منه، أي من داود (عليه الصلاة والسلام)، الحكم بينهما في قضية النعاج (وفي النعاج استعارة عن النساء). فتنبه (عليه الصلاة والسلام)، لخطيئته واستغفر ربه وركع توبة: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نَعْجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ. (25) (من سورة ص).

وسليمان (عليه الصلاة والسلام)، أيضاً تاب إليه تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. (30) (سورة ص). وطلب الغفران: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ. (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. (35) (من سورة ص).

أما النبي محمد (ﷺ) فقد أمره تعالى بطلب الغفران في بضع آيات:

{وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}. (النساء 106)،
{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}. (المؤمنون 118)،

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} (غافر 55)،
{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمُ وَمَثَوَاكُمُ} (محمد 19)،
{يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنُ (1) * قُمْ فَأَنْذِرْ (2) * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) * وَثِيَابَكَ
طَهِّرْ (4) * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) *} (المدثر)،
{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}. (النصر 3)،

طهره ورفعاه إليه

{إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (آل
عمران 55). لم يذكر القرآن الكريم أن أيًا من الأنبياء والرسل قد
طهره الله تعالى ورفعاه إليه سوى المسيح (عليه الصلاة والسلام). ويكرر
القرآن ذلك في الآية (158) من سورة النساء: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا*}.

أيده بروح القدس

يخبرنا القرآن الكريم في الآيات الثلاث التاليات أن الله سبحانه
وتعالى، أيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بروح القدس:

{...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...}
(البقرة 87)،
{...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...}
(البقرة 253)،

{قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ...} (المائدة 110)،

وهذا أيضًا مما خص تعالى به المسيح وحده (عليه الصلاة والسلام)، وهو ما يؤكد لنا الألوسي في تفسيره للآية (87) من سورة البقرة: «وخص عيسى عليه السلام بذكر التأييد بروح القدس لأنه تعالى خصه به من وقت صباه إلى حال كبره، كما قال تعالى: {إِذْ أَيْدَتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} (المائدة: 110)... وقيل: - الروح - هنا اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى... وقيل: روح عيسى عليه السلام نفسه، ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان، أو لكرامته عليه تعالى...» وقال بعضهم: روح القدس الذي أخبر الله تعالى نكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه السلام. (راجع تفسير الطبري والقرطبي والألوسي للآية 87 المذكورة).

وحده آية للناس

في الفصل الرابع من هذا الكتاب رأينا المعنى المقصود لصفة «الآية» التي وصف بها القرآن عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، «بانها علامة على قدرة الله عز وجل». كما رأينا أن الله تعالى أراد أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، آية للناس وقد كرر القرآن الكريم ذلك في ثلاث آيات نذكر منها: {...وَلَنَجْعَلُهَا آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ...} (مريم 21). ولو عدنا إلى آيات القرآن الكريم التي حدثتنا عن سير باقي الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، بمن فيهم محمد (ﷺ)، لما وجدنا آية واحدة تصف أيًا منهم بأنه كان «آية». وعليه يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحده قد وصفه القرآن الكريم «بالآية» من دون سائر إخوانه الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام).

الفصل السابع

ما نفاه القرآن عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)

نفي ألوهية المسيح (عليه الصلاة والسلام)

لقد قال بعض الغلاة إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله عز وجل. وهذا ما ينفيه القرآن الكريم نفيًا قاطعًا. فقد رأينا سابقًا، في الفصل الثاني، كيف ولد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، من أمه مريم (عليها السلام)، وهذا ما لم ينفه، بل لم يشكك به أحد. فالمسيح (عليه الصلاة والسلام)، إذاً مولود وهو بالتالي مخلوق لأن كل مولود مخلوق. والمخلوق لا يخلق، والله عز وجل، هو خالق كل شيء فلا يعقل إذاً أن يكون في الوقت عينه خالقًا ومخلوقًا. ولو عدنا إلى سورة الإخلاص رقم (112) لقرأنا قوله تعالى عن نفسه: **إِنَّهُ {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} * (3)** فلا يمكن أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله عز وجل، لأنه مولود والله تعالى، لم يولد. ولمن قال إن الله خلقه من أم ومن دون أب، بالنفخ فيها من روحه، نقول إنه قد خلق قبله آدم (عليه الصلاة والسلام)، من التراب بالنفخ فيه أيضًا من روحه، أي من دون أب أو أم، **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} * (28)** فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * (29) (من سورة الحجر)، فلو كان في ذلك ألوهية لكان الأولى أن يكون آدم (عليه الصلاة والسلام)، إلها قبل المسيح (عليه الصلاة والسلام).

وعلى من قال: إذا كان الله تعالى على كل شيء قديرًا وفعالًا لما يريد، أفلا يمكنه أن يتجسد بالمسيح (عليه الصلاة والسلام)؟ نجيب بأن الله تعالى، يقول عن نفسه، في الآية (103) من سورة الأنعام، بأنه

لا تدركه الأبصار، {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ} فهل يمكن أن يناقض تعالى نفسه بأن يتجسد
وبالتالي يجعل الأبصار تدركه؟ أضف إلى ذلك أنه عندما سأل
موسى (عليه الصلاة والسلام)، ربه أن يدعه يراه قال له الله تعالى: «لَنْ
تَرَانِي»، بالنفي القاطع، وقد كان ذلك عندما كلمه تعالى ليلبغه
البدء برسالته، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ
أَرْنِي أُنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ*}
(الأعراف 143) فإذا كان تعالى لم يسمح لنبيه ورسوله وكليمه
موسى (عليه الصلاة والسلام)، أن يراه ولو لمرة واحدة، فكيف يسمح
لسائر الناس بأن يروه تكررًا في بضع سنين؟

ثم إنه تعالى يحسم لنا هذا الأمر وينفي بالكلام القاطع والواضح
والصريح أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله، بل هو يصف
بالكافر كل من قال إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، هو الله. {لَقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*} (المائدة 17).

أضف إلى ذلك بأن الله تعالى يؤكد لنا، وفي تسع من آيات
القرآن الكريم، بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، عبد الله ورسوله
(أرجو من القارئ الكريم أن يعود إلى الفصل الثالث من هذا
الكتاب فقرة عبد الله). وفي الآيات الثلاث التالية، التي يخاطب
فيها نبيه محمداً (ﷺ)، يؤكد تعالى أن الرسل الذين بعثهم قبله كانوا
كلهم رجالاً، وبالتالي لم يكن بينهم إله أو حتى ملاك، إذ يقول:
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ...} (يوسف 109)

و(النحل 43) و (لأنبياء 7). وكلنا يعلم أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد بعث قبل محمد (ﷺ)، وهذا بالتالي تأكيد من القرآن الكريم بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إنسان، كباقي الأنبياء والرسل.

والآية (75) من سورة المائدة تؤكد، ليس فقط بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، رسول كغيره من رسله تعالى، إنما أيضًا بأنه وأمه مريم (عليها السلام)، كانا كغيرهما من البشر يأكلان الطعام فلو كانا إلهين لما احتاجا للطعام والشراب لاستمرار حياتهما: {مَا أَلْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ* 75}.

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «وقوله: كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم. فإن من كان كذلك، فغير كائن إلها لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما بقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربًّا.»

ثم تؤكد الآيتان (116 و 117) من سورة المائدة، أن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ينفي نفياً قاطعاً أن يكون قد ادعى الألوهية سواء لنفسه أو لأمه: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَعَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ ثَلُثَةً فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ* (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* (117)}

وتأتي الآية (31) من سورة التوبة لتزيد في أن واجب العبادة على الناس يقضي بعبادة الله الواحد حصراً، الذي لا إله إلا هو، وأن اتخاذ الأقباط والرهبان والمسيح (عليه الصلاة والسلام)، أرباباً هو من الشرك: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * (31)}. والشرك هنا هو في أن تجعل لله تعالى، شريكاً أو شركاء له تعبدوها معه. والشرك ينهى عنه القرآن الكريم ويساويه بالكفر، فالمشرك والكافر صنوان.

نفي ألوهية مريم (عليها السلام)

بالإضافة إلى ما جاء في الفقرة السابقة عما قالته الآية (75) من سورة المائدة في نفي الألوهية عن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وعن أمه مريم (عليها السلام)، يقول الألوسي في تفسيره للآية (116) من سورة المائدة: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَعْنَتِ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَآمِيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ}: «واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحداً من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلهاً. وأجيب عنه بأجوبة. الأولى: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً لزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً كذلك لأن الولد من جنس من يلد فذكر {إلهين} على طريق الإلزام لهم. والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها اسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأقباط والرهبان في قوله تعالى: {اتخذوا أقباطهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} (التوبة 31) لما أنهم عظموهم تعظيم الرب... والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض

النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنها إله. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيزاً ابن الله عز اسمه وهو أولى الأوجه عندي. »

نفي التثنية والتثليث

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن جميع الأنبياء والمرسلين الذين بُعثوا قبل النبي محمد (ﷺ)، قد دعوا إلى وحدانية الله عز وجل. وقد قلنا سابقاً إن التعاليم التي جاء بها أولئك الأنبياء والرسل لم تكن تدون في الأوقات التي أنزلت فيها، بل كانت تنتقل شفهاً من الآباء إلى الأبناء. أما ما دون من تلك التعاليم فقد حصل تدوينه في أوقات بعيدة عن أوقات البعثات. هذا الأمر جعل تلك التعاليم تتعرض، سواء عن قصد أم عن غير قصد، للتحريف أو التغيير أو التبديل حتى في الجوهر، كما جعل بعضاً من أتباعها يذهب بعيداً عما قالت به تلك التعاليم. ولم يكن حظ التعاليم التي جاء بها المسيح (عليه الصلاة والسلام)، يختلف عن حظوظ سابقتها ليس فقط فيما ذهب إليه البعض من أن الله تعالى هو المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بل ذهب بعضهم إلى القول بوجود إلهين، من دون الله، هما المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأمه مريم (عليها السلام)، ومنهم المريميون (يرجى مراجعة الفقرة السابقة «نفي ألوهية مريم»). كما ذهب البعض الآخر إلى القول بثلاثة آلهة هم الله عز وجل، والمسيح (عليه الصلاة والسلام)، وأمه مريم (عليها السلام)، ومنهم النسطورية والملكانية.

إن القرآن الكريم لا ينفي فقط، كما رأينا آنفاً، أن يكون كلُّ من المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ومريم (عليها السلام)، إلهاً، بل ينهى بالطلق عن الاعتقاد بوجود إلهين اثنين، {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَدَّوْا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإَيَّايَ فَارْهَبُونِ} * (النحل 51).

كما ينفي وينهى أيضاً عن القول بثلاثة آلهة ويكرر ذلك في غير آية:

{يَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا*} (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا* (172) (النساء)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ* (75) قُلْ اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(76){ قُلْ يَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ* (77) (المائدة).

ويقول الألوسي في تفسيره للآية (171) من سورة النساء:

«وتحقيق الكلام في هذا المقام على ما ذكره بعض المحققين أن النصراني اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بقدر ولا يقبل الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم، وأنه واحد بالجوهريّة، ثلاثة بالأقنومية، والأقنيم صفات للجوهر القديم، وهي الوجود والعلم والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب والحياة بروح القدس والعلم بالكلمة. ثم اختلفوا فذهب الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم

واستولى عليها إلى أن الأفانيم غير الجوهر القديم، وأن كل واحد منها إله، وصرحوا بإثبات التثليث، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة سبحانه وتعالى عما يشركون، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته وامتزجت به امتزاج الماء بالخمر وانقلبت الكثرة وحدة وأن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي، وأن مريم ولدت إلهًا أزليًا مع اختلافهم في مريم أنها إنسان كلي أو جزئي، واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا، وأطلقوا لفظ الأب على الله تعالى، والابن على عيسى عليه السلام.

ومن النسطورية من قال: إن كل واحد من الأفانيم الثلاثة حي ناطق موجود، وصرحوا بالتثليث كالملكانية، ومنهم من منع ذلك، ومنهم من أثبت صفات آخر كالقدرة والإرادة ونحوها لكن لم يجعلوها أقانيم، وزعموا أن الابن لم يزل متولدًا من الأب وإنما تجسده وتوحده بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الناسوت، فالمسيح إله تام وإنسان تام، وهما قديم وحادث، والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث، وقالوا: إن الصلب ورد على الناسوت دون اللاهوت.

وذهب بعض اليعقوبية إلى أن الكلمة انقلبت لحمًا ودما فصار الإله هو المسيح، وقالوا: إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، ورووا عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في صدر «إنجيله»: «إن الكلمة صارت جسداً وحلت فينا، وقال: في البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله والله تعالى هو الكلمة»،.

ويقول أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام (ص 125): «فتح المسلمون البلاد وهي مملوءة بالنصارى في مصر وبلاد المغرب والأندلس والشام، وكانت النصرانية عند الفتح منقسمة إلى جملة طوائف، أشهرها في الشرق ثلاثة: اليعاقبة. وكانت منتشرة في

مصر والنوبة والحيشة. والنساطرة: وكانت منتشرة في الموصل والعراق وفارس. والملكانية: وكانت منتشرة في بلاد المغرب وصقلية والأندلس والشام».

إن القرآن الكريم يورد في آيات عديدة، وحدانية الله سبحانه وتعالى، وسنكتفي بما نقوله الآية رقم (1) من سورة الإخلاص: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*} التي نفهم منها، أن الله تعالى، واحد في ذاته منزّه عن أي نوع من التعددية أو التعددية، «فالواحد» يمكن أن يقبل التجزئة بحيث يمكن أن يكون الواحد نصفين أو ثلاثة أثلاث الخ...، أما «الأحد» فلا يقبل لا التقسيم ولا التجزئة. وفي لسان العرب (باب أحد): «في أسماء الله تعالى: الأحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده. ولم يكن معه آخر، وهو اسم بُني لنفي ما يذكر معه من العدد».

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه «صفوة التفسير»: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*} أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين: إن ربي الذي أعبد، والذي أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه ولا نظير له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو جل وعلا واحد أحد... واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ: الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد، والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول: فلان واحد في عصره أي لا نظير له، والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض.¹

¹ لا يتبعض: لا يجزأ.

نفي كون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ابن الله عز وجل
 في القرآن الكريم عدة آيات تنفي، بالمطلق، أن يكون الله عز
 وجل قد اتخذ له ولداً ومن تلك الآيات:
 {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ* (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
 فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* (117)} (البقرة)
 {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ* (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ أُنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* (101)} (الأنعام)
 {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* (35)} (مريم)
 {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* (89)
 تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا*
 (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا
 * (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا
 * (93)} (مريم)
 {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا* (3)} (الجن)
 {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* (3)} (الإخلاص)

أما في القول إن المسيح (عليه الصلاة والسلام)، ابن الله عز وجل، ففي
 الآيات التالية ينفي القرآن الكريم ذلك وينهى عنه وعن كل
 مغالاة في الدين:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ
 وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ

إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * (172) { (النساء)

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * (77) { (المائدة).

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُمْ يَضِلُّهُمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ * (30) اتَّخَذُوا أَحْبَبَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * (31) { (التوبة)

نفي صلب وقتل المسيح (عليه الصلاة والسلام)

كما ينفي القرآن الكريم، أن يكون المسيح (عليه الصلاة والسلام)، قد صُلب أو قُتل:

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * (158) { (سورة النساء رقم 4)

يقول (الطبري) في تفسير هاتين الآيتين:

«واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شُبِّهَ لليهود في أمر عيسى، فقال بعضهم: لما أحاطت اليهود به وبأصحابه، أحاطوا بهم، وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه، وذلك أنهم جميعاً حُولُوا في صورة عيسى، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل

عيسى، عيسى من غيره منهم، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى... أما قوله جل ثناؤه: **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَبِإِذِهِ يُعْنَى**: بل رفع الله المسيح إليه، يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه، فطهره من الذين كفروا.

أما (الجلالان) فيقولان في ذلك: **«{وَقَوْلِهِمْ} مفتخرين {إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ} في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذبا لهم {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} أي في عيسى {أَفَى شَكَّ مِنْهُ} من قتله، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون: بل هو هو {وَمَا لَهُمْ بِهِ} بقتله {مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} استثناء منقطع: أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} حال مؤكدة لنفي القتل»**

ويقول كل من البيضاوي والصابوني في تفسيريهما لعبارة: **{... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...}** ما يشابه قول الطبري والجلالين لجهة أن الله تعالى حول صورة شخص آخر وجعله شبيها للمسيح (عليه الصلاة والسلام)، فقام اليهود بصلب وقتل ذلك الشبيه المسيح (عليه الصلاة والسلام). ولكن مهما كان المقصود بقوله **{شُبِّهَ لَهُمْ}** أهو الشخص الذي قتلوه وصلبوه، أم هو حصول القتل والصلب على المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بدليل قوله: **{وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}**؛ فيبقى أن القرآن الكريم ينفي القتل والصلب نفياً قاطعاً وجازماً بقوله: **{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} (157)** بل **رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (158)** {سورة النساء رقم 4}.

أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم يخبرنا في الآيات الثلاث التاليات أن الله سبحانه وتعالى، أيد المسيح (عليه الصلاة والسلام)، بروح القدس:

{...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...} (البقرة 87).

{...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...} (البقرة 253)

{قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ...} (المائدة 110)

يقول الألوسي في تفسيره للآية (87) من سورة البقرة: «وخص عيسى عليه السلام بذكر التأييد بروح القدس لأنه تعالى خصه به من وقت صباه إلى حال كبره، كما قال تعالى: {إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} (المائدة: 110) ولأنه حفظه حتى لم يبد منه الشيطان، ولأنه بالغ إثنا عشر ألف يهودي لقتله، فدخل عيسى بيتاً فرفعه عليه السلام مكاناً علياً. وقيل: - الروح - هنا اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يحيي به الموتى... وقيل: روح عيسى عليه السلام نفسه، ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان، أو لكرامته عليه تعالى...»

فالروح القدس الذي حمى المسيح (عليه الصلاة والسلام)، وحفظه، منذ لحظة ميلاده كما رأينا سابقاً، من مس ومكر الشيطان على رغم ما لهذا الأخير من قدرات، ألا يمكنه حمايته من مكر اليهود وأذاهم؟

الفصل الثامن

تعاليم المسيح (عليه الصلاة والسلام)

إن القرآن الكريم نزلّه الله تعالى على رسوله محمد (ﷺ)، فليس بالضرورة أن يحتوي على جميع التعاليم التي نزلها تعالى، على سائر الأنبياء والرسل. وكل ما أخبرنا به القرآن الكريم من التعاليم التي جاء بها رسول الله تعالى، عيسى ابن مريم (عليه الصلاة والسلام) فقد انحصر في دعوته إلى ما يلي:

وحدانية الله وعبادته

مثله مثل سائر إخوانه من الأنبياء والرسل فقد دعا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، إلى عبادة الله وحده لا شريك له يعبد معه. وهذا ما بينه ما يلي من الآيات البيّنات:

{إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ*} (عمران 51)

{... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ*} (المائدة 72)

{وَمَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*} (المائدة 117)

{اتَّخِذُوا أَحِبْرَهُمْ وَرُهَيْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ*} (التوبة 31)

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا*} (30) (مريم 30)،

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ *} (الزخرف 64).

التصديق بالتوراة

وبما أن الله تعالى هو الذي بعث الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، تترى إلى عباده، وهو وحده مصدر الوحي لهم جميعاً، فكان من الطبيعي أن يصدق كل منهم بما أنزل على من قبله. وكما صدق النبي محمد (ﷺ)، بالتوراة والإنجيل اللذين نزلًا على التوالي من قبل على موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام)، فيخبرنا القرآن الكريم في الآيات التالية، أن المسيح (عليه الصلاة والسلام) قد صدق كذلك بالتوراة:

{وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا *} (آل عمران 50)،

{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *} (المائدة 46)،
{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ...} (الصف 6).

الصلاة والزكاة

كما يحدثنا القرآن الكريم، في الآية التالية، أن الله تعالى أوصى نبيه الكريم، عيسى (عليه الصلاة والسلام) بالصلاة والزكاة:
{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *} (مريم 31)

تقوى الله

كما دعا المسيح (عليه الصلاة والسلام)، الناس إلى تقوى الله تعالى:
{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا *} (الزخرف 63)

لا رهبانية

أما الرهبانية فيعلمنا القرآن الكريم أن الله تعالى، لم يكتبها على
أتباع المسيح (عليه الصلاة والسلام). بل يقول إنهم ابتدعوها {أَبْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ} كما تقول الآية الكريمة:
{... وَفَقَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ *} (الحديد 27)

لا تفريق في الدين

وكما وصى سبحانه وتعالى جميع الأنبياء والرسل، فقد وصى
رسوله المسيح (عليه الصلاة والسلام)، والذين آمنوا معه، بألا يجعلوا
الدين سبباً للفرق فيما بينهم:
{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ *} (الشورى 13).

بشر بمحمد (ﷺ)

إلى كل ذلك فنقول الآية الكريمة بأن المسيح (عليه الصلاة والسلام)،
بشر بني إسرائيل برسول يأتي من بعده اسمه «حمد»، وهذا الاسم
هو من أسماء رسول الله محمد (ﷺ):

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
أَسْمُهُ أَحْمَدُ...} (الصف 6)

المراجع

كتب مطبوعة

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة	الناشر
القرآن الكريم			
دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم	أسامة كامل أبو شقرا	الأولى 2001	المؤلف
صفوة التفسير	محمد علي الصابوني	الأولى 1997	دار الصابوني للطباعة والنشر القاهرة
تفسير الجلالين		الأولى 1992	دار الإخاء - دمشق
تفسير البيضاوي		الأولى 2001	دار صادر
قصص الأنبياء	ابن كثير	السابعة	دار ابن كثير - دمشق - بيروت
المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال	الإمام الغزالي - تحقيق جميل صليبا وكامل عواد		دار الأندلس للطباعة النشر - بيروت
موسوعة النحو والإعراب	اميل بديع يعقوب	الأولى 1988	دار العلم للملايين - بيروت
فجر الإسلام	أحمد أمين	15 (1994)	مكتبة النهضة المصرية القاهرة
محيط المحيط	بطرس البستاني	1987	مكتبة لبنان - بيروت
القاموس المحيط	الفيروز آبادي		دار الجيل - بيروت
الكشاف	الخوارزمي		انتشارات أفتاب تهران
كلمات القرآن الكريم تفسير وبيان	حسنين محمد مخلوف	1997	دار إحياء التراث العربي - بيروت
تفسير الكشاف	محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم		
تفسير الثعالبي	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد		
دقائق العربية	أمين آل ناصر الدين	الثالثة - 1986	مكتبة لبنان - بيروت

كتب من أقراص مدمجة
إصدار شركة العريس للكمبيوتر بيروت

		إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين.	تفسير ابن كثير
		محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر	تفسير الطبري
		عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي.	تفسير البيضاوي
		جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي. وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.	تفسير الجلالين
		عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن همام الخصيري السيوطي، جلال الدين	الدر المنثور في التفسير بالمأثور
		أبو الفرج ابن الجوزي. وهو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج	تفسير زاد المسير
		محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو التّناء	تفسير الألويسي
		ابن منظور محمد بن مُكرّم بن عليّ بن أحمد بن حبة الأنصاري الإفريقي	لسان العرب